جامـعة الشهيـد حمـه لخضر-الـوادي
معهد العلوم الإسلامية
قسم الحضارة الإسلامية

وجوه من بلاغة القرآن الكريم عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي - رحمه الله - من خـلال آثـــاره

مذكرة تخرج تدخـل ضمن متطلبات الحصول على شهـادة الماستر في العلوم الإسـلامية – تخصص : لغة عربية ودراسات قرآنية

الطلبة:
- عبد الرزاق حميداتو
- العيد قرح
- محمد البشير فريجات

المشرف :
د . حمزة بوخزنة

السنة الجامعية : 1442 - 1443 ه / 2020-2021م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

نشكر الله شكر الشاكرين على نعمه الظاهرة والباطنة قال تعالى:

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [ابراهيم 07]

الحمد لله الذي هدانا إلى نور العلم، الذي يسر طريقنا وأعطانا من موجبات رحمته الإرادة والعزيمة على إتمام هذا العمل.

نحمل أرقى وأسمى عبارات الشكر والامتنان إلى الأستاذ المشرف: الدكتور حمزة بوخزنة الذي أعاننا بصبره المشهود وحكمته المعهودة، فكان لنا نعم المشرف والموجه، جعله الله شمعة مضيئة تضيئ أجيال المستقبل

كما لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر إلى كافة أساتذة قسم الحضارة الإسلامية تخصص لغة عربية ودراسات قرآنية.

ويبقى أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى من مد لنا يد العون من قريب أو من بعيد.

نسأل الله أن يجزيهم خير الجزاء وأن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، الحمد لله الذي أنطق لسان الإنسان، فأفصح بعجيب البلاغة، واوضح منار البرهان، نحمده سبحانه وتعالى على ما يسر من عسير، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله، أما بعد:

فإن القرآن الكريم كتاب الله لا تنقضي عجائبه، أذهل فصحاء العرب ببيانه وبلاغته على الرغم مما كانوا عليه من دراية باللغة العربية وكشف أسرارها، إذ ان هذا لا يتأتى لأي أحد إلا من اصطفاه الله على غيره ممن خلق، ولأنه جلّ وعلا يبعث في هذه الأمة من يجدد لها دينها ،كانت نعمت الله على الأمة العربية عامة والجزائرية خاصة ان اصطفى لها من خيرة أبنائها من يتولى الذود عن مقومات هذه الأمة، إنه الإمام محمد البشير الإبراهيمي صاحب البيان الراقي والبلاغة الواضحة ،كان آية من آيات الله في الخلق، ومن وجد في نفسه ريبة فالينظر بعين الإنصاف ماذا انفقت فرنسا كي تقتل العربية فينا، أغرت ضعفاء النفوس وآذت أقوياء الإيمان ،ووضعت المراسيم الظالمة التي تمنع التعليم العربي لكن سعيها خاب حين أقامت جمعية العلماء قلاعها، ونشرت في الناس كتابها وزيّن بيان الإبراهيمي بصائرها وآثارها، حتى غدت مضرب المثل في الكمال الراقي والسمو الرائع.

إن الأخيار من أمتنا أمثال الشيخ الإبراهيمي سحرتهم بلاغة القرآن الكريم واسرّت نفوسهم فراحوا يضربون في بطون الأرض بحثا عن أنجاز يشفي غليلهم لأن هذا القرآن دفّاق الفيض مستمر العطاء، ولا يستقل بتفسيره إلا الزمن وكلام نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، المبيّن له في كثير من متون الكتاب والسنة الواردة في معضلات الكون ومشكلات الاجتماع، لم تفهم أسرارها ومغازيها إلا بتعاقب الأزمنة وظهور ما يصدقها من سنن الله في الكون، وكم فسرت لنا حوادث الزمن واكتشافات العلم من غرائب آيات القرآن ومتون الحديث، وأظهرت منها للمتأخرين ما لم يظهر للمتقدمين.

أهمية الموضوع:

1- حداثة هذا الموضوع المدروس إذ لم تبرز الدراسات السابقة براعة الإمام الإبراهيمي في بيان القرآن الكريم وبلاغته.

أهداف الموضوع:

يمكن تلخيص الأهداف المراد الوصول إليها من خلال هذا البحث فيما يلي:

1- إبراز وجوه إعجاز القرآن في البلاغة عند الإبراهيمي وعند غيره ،وذلك لبيان الميزة التي تميّز بها عن غيره.
2- التعريف بهذه الشخصية الجزائرية، وإبراز مكنتها في البلاغة والبيان.
3- إبراز موسوعية الإبراهيمي المعرفية في الدراسات القرآنية على غرار السياسة والأدب.

أسباب اختيار الموضوع:

إن دوافع اختيارنا لهذا الموضوع كانت انطلاقا من الاعتبارات الآتية:

1- إنّ البحث المرتبط بكلام الله تعالى من أجلّ ما يصرف فيه طالب العلم وقته وجهده.
2- أنّ الدراسات السابقة تناولت البلاغة والبيان عند الإبراهيمي في جانب الأدب والنثر والخطابة ولم تتطرق إلى بلاغة القرآن الكريم عنده.

إشكالية البحث:

إن اختيارنا للدراسة على مدونة بالغة الأهمية لما اتّسمت به من قيم إنسانية تهدي النفوس وتوقظ الوعي تجلّت في آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي لأحمد طالب الإبراهيمي ، ولأن مكنة الإمام الإبراهيمي في اللغة العربية وتبحّره فيها يدفعنا إلى التساؤل التالي:

*هل للإبراهيمي نكت بيانية وبلاغية أثناء تعرضه للآيات القرآنية ؟.وما هي وجوه الإعجاز عنده ؟ وما مدى ربط هذه البلاغة بالواقع ؟.

المنهج المتّبع:

إن العلاقة المنهجية التي تربط بين الموضوع والمنهج تجعلهما متلازمين، فطبيعة الموضوع هي التي تحدد المنهج الواجب اتباعه للإحاطة بجميع جوانب الموضوع، لذا اعتدنا على المنهج في دراستنا على المنهج الوصفي الذي يعتبر مناسبا لطبيعة الموضوع.

صعوبات الموضوع:

1- كونها أول دراسة خضنا غمارها في هذا الجانب لهذه الشخصية.

2- تداخل المعلومات وامتزاجها مع غيرها إذ أنّ الإبراهيمي كان قرآنيا بحق، فلا يكاد حديثه يخلو من القرآن في جميع خطاباته ومقالاته.

3- ندرة المصادر التي تناولت البلاغة القرآنية للإبراهيمي وإن كان البعض منها يلمّح بقدرته في البيان وبراعته في البلاغة.

الدراسات السابقة:

لم نجد حسب اطلاعنا وبحثنا في هذا العلم رسالة او بحثا أو كتابا أو دراسة سابقة حول بلاغة القرآن الكريم عند البشير الإبراهيمي من خلال آثاره، فهو يكاد يكون جديدا على الساحة العلمية، وهذا مما شجعنا في الدراسة عنه، إلا أن هناك بعض الدراسات السابقة متعلقة بالبشير الإبراهيمي منها:

1 - الأفعال الكلامية في خطابات الشيخ محمد البشير الإبراهيمي- ماستر – حسينة عداد، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي ، 2012-2013م.

2 - جمالية الأجناس الأدبية لدى البشير الإبراهيمي – مقاربة أسلوبية – دكتوراه- معمّر حاكمي ،جامعة جيلالي اليابس ،سيدي بلعباس ،2018-2019م.

3 – فلسطين في أدب الإبراهيمي (دراسة تحليلية فنية)- ماجستير – السعيد بوبقار ، جامعة الإخوة منتوري ،قسنطينة، 2007-2008م.

أهم المصادر والمراجع:

اعتمدنا على مصادر تراثية منها:

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي.
- البحر المحيط في التفسير، لابن حيان الأندلسي .
- إرشاد العقل السليم، لأبي السعود.
- التفسير الكبير، بفخر الدين الرازي.

ومصادر حديثة منها:

- التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور.
- على طريق التفسير، الدكتور فاضل السامرائي.

خطة البحث:

لقد قمنا بتقسيم البحث إلى أربعة مباحث :

مبحث تمهيدي ذكرنا فيه التعريف بالبشير الإبراهيمي رحمه الله وآثاره

ومبحث أول ذكرنا فيه عناية الإبراهيمي رحمه الله بفهم القرآن الكريم وبلاغته.

ومبحث ثاني ذكرنا فيه وجوه بلاغة الألفاظ والأساليب عند الإبراهيمي رحمه الله.

ومبحث ثالث تناولنا فيه التفسير البياني لسورتي الفلق و الناس.

مبحث تمهيدي

التعريف بالبشير الإبراهيمي وآثاره

المطلب الأول: التعريف بالبشير الإبراهيمي :

- ✓ تمهيد.
- ✓ المولد.
- ✓ نشأته وحياته.
- ✓ آثاره.
- ✓ وفاته.

المطلب الثاني: التعريف بآثار البشير الإبراهيمي.

المطلب الأول: التعريف بالبشير الإبراهيمي:

تمهيـــد

يهدف هذا المبحث للتعريف بالشيخ محمد البشير الإبراهيمي وذلك من خلال الوقوف على أبرز محطات حياته، والتعرف على الظروف التي جعلت من هذه الشخصية نجما يسطع في سماء الجزائر والوطن العربي، حيث سنتطرق إلى الحديث عن مولده ونشأته ورحلاته ونشاطه ثم وفاته.

المولد والنشأة:

دخلت الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي في مرحلة مخاض عسيرة، فعرفت شتى أنواع الظلم والاستبداد من محاربة شرسة للعقيدة والثقافة والدين ومحاولة التجهيل والتغريب وهدم لكل مقومات الشخصية، فراحت الأقلام تعبر وتنشر شعائر الإسلام والصلاح والحفاظ على العربية . لقد أنجبت الجزائر الكثير من الرجال، هم الرجال مازالوا وسيبقون معالم ومنارات، ومن هؤلاء الأعلام الأفذاذ إمام الجزائر وعلاّمتها بل فخر علمائها : الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، الذي سوف نتعرف على جوانب من حياته، عرف البشير بنفسه في مقال من أنا بطلب من مجلة المصور المصرية قوله : انا محمد البشير ابن محمد السعدي بن عمر بن محمد السعدي بن عبد الله بن عمر الإبراهيمي نسبة إلى قبيلة عربية تعرف" بأولاد أبراهم "* ويرجع نسب هذه القبيلة إلى إدريس** بن عبدالله مؤسس دولة الأدارسة ولدت عند طلوع الشمس من يوم الخميس الرابع عشر من شوال 1306هـ هجرية الموافق لـ :الثالث عشر جوان 1889 م .[1]

نشأ الإبراهيمي في أسرة عرفت بالتقوى والورع وحب العلم الذي ورثه أبا عن جد، تلقى على يد أبيه مبادئ تعليمه، ولما بلغ الثالثة من عمره أدخله كتّاب القرية فحفظ القرآن في سن مبكرة تبعا

*- قرية تقع بدائرة رأس الوادي جنوب مدينة سطيف.

**- خل المغرب 170هـ فارا من موقعة (فخ) التي كانت بين العباسيين والعلويين ،وإليه ترجع أنساب الأشراف الحسنيين في المغرب والجزائر.

1- الإبراهيمي، محمد البشير،" أنا "، مجلة الثقافة،ص11، السنة 15،العدد87.

2- المرجع نفسه ، ص12،

للأسلوب التقليدي الشائع والمتبع في بيئته وبلاد المغرب، وكان يشرف عليه في ذلك عمه: الشيخ المكي الإبراهيمي المتفنن في علوم العربية من نحوها وصرفها واشتقاقها ولغتها. [1]

ولما بلغ التاسعة من عمره، كان قد أتم حفظ القران وفهم كثيرا من مفرداته وغريبه، كما استولت حافظته بعض متون الفقه واللغة والنحو، فاستظهر ألفية ابن مالك ومعظم كافيته، وألفية ابن معطي الجزائري، وألفيتي الحافظ العراقي في السيّر والأثر، وجمع الجوامع في الأصول وتلخيص المفتاح للقاضي القزويني والمعلقات، والمفضليات وشعر المتنبي وكثير من شعر الرضي وابن الرومي وأبي تمام والبحتري وأبي نواس، كما استظهر كثيرا من شعر جرير والأخطل والفرزدق، كما حفظ كثيرا من كتب اللغة كالإصلاح والفصيح ،ومن كتب الأدب كالكامل والبيان وأدب الكاتب ، أضف إلى ذلك حفظ الشيخ أسماء الرجال الذين ترجم لهم نفح الطيب وأخبارهم والكثير من شعرهم .[2]

رزق الإبراهيمي حافظة قلّ نظيرها في القوة وسرعة فهم لا تجارى الشيء الذي جعل من عمه يتوجس خيفه من عواقب هذا النضج المبكر، فكان لا يكلفه الحفظ إلا بمقدار ولا يجيب طلبه المزيد من الحفظ. [3]

رحلاته:

أ- رحلته إلى المشرق:

بعد أن تجاوز الإبراهيمي العشرين من عمره تاقت نفسه الى الهجرة إلى المشرق العربي فأختار المدينة المنورة وكان والده السعدي قد سبقه إليها سنة 1908 م فالتحق به متخفيا سنة 1912م، مر بمصر وأقام فيها ثلاثة أشهر، التقى ببعض علمائها وأدباءها وشعرائها ،وحضر بعض دروس العلم في الأزهر، وعندما استقر بالمدينة المنورة درس فيها على كبار علمائها – الوافدين من كل أنحاء .

[1]- ينظر بطاقة حياة، محمد عمارة،ص169،الملتقى الدولي للإمام محمد البشير الإبراهيمي، بمناسبة الذكرى الأربعين لوفاته، دار الغرب الإسلامي، ط 2006، 1427,1 م، الجزائر قصر الثقافة، 13 و14 ربيع الثاني 1426،الموافق لـ 22-23 ماي،2005. وينظر مجلة الثقافة،ص12.

3 – المرجع نفسه ، ص12.

العالم الإسلامي- علوم التفسير والحديث والفقه وأنساب العرب وأدبهم ،ودواوينهم ،كما درس المنطق والحكمة المشرقية، وأمهات كتب اللغة والأدب. [1]

وبالتالي ظل الإبراهيمي للعلم طالبا، وللكتب هاظما، وللمجالس قاصدا، مما طوعت له ملكته في الحفظ وطلبه للعلم تشكيل ثقافة واسعة في ظل الظروف السياسية والاجتماعية على الصعيد الداخلي والخارجي.

وخلال إقامته بالمدينة المنورة في موسم الحج عام 1913م، التقى بالإمام عبدالحميد باديس، فتوثقت الصلة بينها ويؤكد البشير أن هذه الفترة التي قضاها مع صاحبه ابن باديس هي التي شهدت ميلاد جمعية العلماء المسلمين بالجزائر وإن كان ظهورها قد تأخر إلى عام 1931م،

وعند هجرته من الشام ونزوله بدمشق لأسباب سياسية أختير أستاذا للمدرسة السلطانية، وهي المدرسة الثانوية الوحيدة في ذلك الوقت ،تخرج علي يديه كثير ممن يحمل منارة الفكر في أيامنا هذه. [2]

ب- نشاطه الإصلاحي في الجزائر:

عاد الإبراهيمي إلى الجزائر عام 1920م ليأخذ مكانه في صفوف الجهاد في سبيل نشر العلم وبعث الأمة الجزائرية ويعمل حنبا إلى حنب مع صديقه ابن باديس، واخذ البشير دوره في الجهاد التعليمي، فكان يعلم التلاميذ في بلدته ويلقي بعض الدروس في المساجد ليفقه الكبار، وفي الوقت نفسه كان يمارس التجارة وبين الحين والآخر يلتقي بصديقه "ابن باديس" وينظمان الجهود ،ويمارسان الخطب ، ويواصلان الكفاح وفي عام 1931 م تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وكان الفضل الكبير للبشير في تأسيسها .[3]

---

1 - محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، ص 95،ديوان المطبوعات الجامعية، وهران،(د، ط)، (د، ت).وينظر، البشير الإبراهيمي في عيون معاصريه، محمد الهادي الحسني ،ص 141، 140،ط،2007.

2 - محمد عباس ،المرجع السابق،ص141.

3 - محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، دارالغرب الإسلامي ،الطبعة الأولى 1997م،ج1،ص12.

وعندما ذاقت به وبأمثاله فرنسا قررت نفيه وزجت به في السجن في قرية "آفلو" في الجنوب الغربي من الوطن مطلع الحرب العالمية الثانية، ولم يمر على استقراره بمنفاه غير أسبوع تلقى خبر وفاة رفيقه الإمام عبد الحميد بن باديس – رحمه الله – فتحمل مسؤولية قيادة الجمعية غيابيا، وتولى إدارتها في المراسلة طوال الأعوام الثلاثة التي قضاها في المنفى، فلما خرج عاد إلى نشاطه كأقوى ما يكون النشاط، تعاون مع الأمة على إنشاء المدارس والمساجد والنوادي الأمر الذي أيقظ الحكومة الفرنسية فاستغلت فرصة أحداث 08 ماي م1945 لتدخله السجن مرة أخرى بتهمة التدبير لتلك الأحداث فلبث في السجن سنة إلا قليلا .[1]

وفي سنة 1946 استأنف نشاطه، فبعث جريدة البصائر من جديد وحمل أعباء الجمعية، وهذا ما جاء على لسان قلمه بقوله : "كنت أقوم للجمعية بكل واجباتها وأقوم للجريدة بكل شيء حتى تصحيح النماذج، وأكتب الافتتاحيات بقلمي وقد تمر الليالي ذوات العدد من غير أن أطعم النوم..."[2]

فالإبراهيمي عاش من أجل الدفاع، عن الإسلام والنهوض باللغة العربية في هذا الوطن العزيز، لقد كان مصلحا دينيا واجتماعيا، أنشأ العديد من المدارس العربية أهمها معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة، كما تولى مسؤولية جريدة" البصائر" الذائعة الصيت في المغرب والمشرق والتي كانت من أقوى الصحف دفاعا عن قضايا العروبة والإسلام. [3]

ج– رحلته إلى المشرق العربي:

رحل الابراهيمي إلى المشرق في سنة 1954م، وجال في أكثر بلدانه وهذا ما أقر به في مجلة الثقافة يقول:" خرجت من الجزائر إلى المشرق في رحلة منظمة البرنامج واضحة القصد، وأقمت في القاهرة أسبوعا تم سافرت إلى باكستان فأقمت بها قريبا من ثلاثة أشهر إستوعبت فيها زيارة المدن

1 – مجلة الثقافة ،ص29.

2 – ينظر، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض،ص13,12،مؤسسة نويهض للنشر، بيروت، الطبعة الثانية،1400هـ -1980 م.

3 – مجلة الثقافة،ص39.

الباكستانية وألقيت في هذه المدن نحو سبعين محاضرة في الدين والإجتماع والتاريخ، ثم رحلت عنها إلى العراق فاستوعت مدنها من البصرة إلى حدود تركيا وإيران وجبال الأكراد ثم رحلت نحو ثلاثة أشهر إلى الحجار سنة 1952م....". [1]

ولما إندلعت نار الثورة الجزائرية التحريرية 1954، فانتدب من قيل قيادتها للقيام بمهمات لدى الدول العربية والإسلامية، فقام بها أحسن قيام، وإثر استقلال الجزائر 1962، عاد إليها وأقام بالعاصمة مريضا، وقد حبسه الجهد والإعياء إلى أن توفي. [2]

3– آثاره ووفاته:

آثـاره :

عرف الإبراهيمي بغزارة إنتاجه في فن الكتابة إلا أن ما طبع منه كان قليلا مقارنة بما تبقى من المخطوط ، بالإضافة إلى مقالات لم يتم جردها، وإحصائها نشرت له في الجرائد والمجلات الوطنية والعربية حيث قال عن نفسه:" لم يتسع وقتي للتأليف والكتابة مع هذه الجهود التي تأكل الأعمار أكلا ولكنني أتسلى بأنني ألّفت للشعب رجالا وعملت لتحرير مقولة تمهيدا لتحرير أجساده ،وصححت له دينه ولغته فأصبح مسلما عربيا، وصححت له موازين إدراكه، فأصبح إنسانا أبيا وحسبي هذا مقرّبا من رضا الرب ورضا الشعب ".

ترك الإبراهيمي العديد من الآثار التي تعد شاهدة على مرتبته العلمية بين الكتّاب وإن كان جزء منها قد عاثت فيه يد الإستعمار فسادا، فضاع وبقي آخر مخطوط لم يعرف طريقه إلى المطابع، ويمكن تصنيف مؤلفاته في مجالين:

1 – **مجال الدراسات اللغوية** :منها:

أ– كتاب بقايا فصيح العربية في اللهجة العامية بالجزائر، وقد الترم فيه الإبراهيمي اللهجة السائدة في مواطن بني هلال بن عامر.

1 – عادل نويهض، المرجع نفسه ،ص 13

2– مجلة الثقافة ص 32.

ب- أسرار الضمائر في العربية .

ج- التسمية بالمصدر.[1]

2- **مجال الدراسات الأدبية** :منها:

أ- عيون البصائر، وهو الكتاب الوحيد الذي طبع في حياة الإبراهيمي بعد الإستقلال.

ب- رواية كاهنة الأوراس.

ج- رواية الثلاثية، وهي مسرحية شعرية تقع في ثمانمائة وواحد وثمانين بيتا تبها الإبراهيمي بمنفاه بآفلو.[2]

د-آثار البشير

الإبراهيمي ،تولى بعض تلاميذه جمعها.

أرجوزة شعرية سماها "ملحمة" نظمها في السنين التي كان مبتعدا في الصحراء الوهرانية تبلغ ثلاثة وثلاثين ألف بيت من الرجز.[3]

وفاته:

يوم الخميس 20 ماي 1965 أسلم محمد البشير الإبراهيمي روحه الطاهرة إلى بارئها، بعد أن ناهز السادسة والسبعين من عمره ودفن بمقبرة سيدي امحمد بالعاصمة. [4]

1 - مجلة الثقافة ص 32.

2- ينظر البشير الإبراهيمي أديبا ،ص 71-72.

3 - ينظر الأعلام،ص54.

4 - ينظر معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ص 13.

المطلب الثاني: التعريف بآثار البشير الإبراهيمي:

لم نعثر على تعريف شامل للآثار في جملة من الكتب التي تطرقنا إليها ،لذا تعذر علينا إيجاد تعريف موثق ، فالتجأنا إلى تعريفها باجتهادنا الخاص وهذا ما وفقنا إليه:

تتكون آثار الإبراهيمي من كتاب مجزأ إلى خمسة أجزاء :

أما الجزء الأول فيحتوي على 417 ص، طبع سنة 1978م حيث قدم له أحمد طالب الإبراهيمي نجل الشيخ الإبراهيمي وكانت بمثابة مقدمة شاملة لجميع أجزاء الكتاب

يحتوي هذا الجزء على مجموعة من المقالات والخطب والدروس منها المبرمجة ومنها الارتجالية مبدوءا ب: السياق التاريخي لمحمد الهادي الحسني مختوما بمقال : افتراء مستشرق للإبراهيمي.

وأما الجزء الثاني : فيحتوي على 477ص طبع هذا الجزء في حياة الشيخ الإبراهيمي تحت عنوان :*عيون البصائر*حيث قدم له عبد الرحمان شيبان أحد تلاميذ الشيخ وهو عبارة عن مجموعة مقالات ورسائل مجلة عيون البصائر جمعت وطبعت في عهد الشيخ .

يبدأ هذا الجزء بعد المقدمة من السياق التاريخي لمحمد الهادي الحسني إلى خطاب بعنوان : خطاب أمام الوفود العربية والاسلامية في الامم المتحدة للشيخ البشير الابراهيمي.

وأما الجزء الثالث فعدد صفحاته يقارب 600ص طبع سنة 1981 وقام بالتقديم له الدكتور عبد الرزاق قسوم وهومن تلامذة تلاميذ الشيخ الإبراهيمي رحمه الله تعالى

هذا الجزء في مجمله خاص بالحديث عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وموقفها مع السياسة الفرنسية ومع المغرب العربي ومع فلسطين ومع الشرق والاسلام بعد أن تناول أكبر قضية وهي فصل الدين عن الحكومة .

يبدأ هذا الجزء بعد المقدمة من السياق التاريخي لمحمد الهادي الحسني إلى مقال بعنوان :الفضيل الورتلاني .

وأما الجزء الرابع فيحتوي على 418ص طبع سنة 1985 وقام بالتقديم له الشيخ محمد الغزالي على شكل مقال مختار كتبه على الشيخ الابراهيمي .

هذا الجزء في مجمله يتحدث عن رحلات الشيخ التوعوية الدعوية إلى الاقطار الإسلامية للتنويه بالقضية الجزائرية خاصة والقضايا العربية والإسلامية عامة مثل قضية فلسطين .

يبدأ هذا الجزء بعد المقدمة من السياق التاريخي لمحمد الهادي الحسني بعنوان كبير: *في باكستان من مارس الى يونيو1952* ينطوي تحته عدة عناوين فرعية مثل :*أخوة الاسلام* و*ديوان مع الله* إلـى *مداعبات إخوانية* تنطوي تحته عدة عناوين فرعية مثل : *عبد العزيز العلي المطوع*وهي عبارة عن قصيدة يمدحه فيها .

وأما الجزء الخامس فيحتوي على 410ص طبع سنة 1994 قدم له الاستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله وهذا الجزء معنون *في قلب المعركة* ولكن ضم له مجموعة من المواضيع التي لها نفس الصلة بمواضيع الجمعية وحرب التحرير وفرنسا بالإضافة إلى الفهارس العامة والتي تشمل 85ص تقريبا.

يبدأ هذا الجزء بعد المقدمة من السياق التاريخي لمحمد الهادي الحسني بعنوان كبير *في مصر نوفمبر 1954 إلى مارس 1956* وتحته عناوين فرعية مثل : نداء إلى الشعب الجزائري المجاهد *نعيذكم بالله أن تتراجعوا* إلى مقال *بيان 16أفريل1964* ثم تبدأ الفهارس العامة .

يقول الاستاذ أجمد طالب الابراهيمي:" وقد طلبت من الاستاذ محمد الهادي الحسني أن يفتتح كل جزء بتوطئة عن السياق التاريخي للجزء حتى لا يحكم القارئ على فترة معينة بعقلية اليوم ومقاييسه".[1]

1، محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج1، ص 22.

المبحث الأول

عناية الإبراهيمي بفهم القرآن الكريم وبلاغته.

المطلب الأول: اهتمامه باللغة العربية ودفاعه عنها.

المطلب الثاني: دعوة الإبراهيمي إلى فهم وتدبر القرآن الكريم.

المطلب الثالث: رأي الإمام الإبراهيمي في بلاغة القرآن وأوجه الإعجاز عند غيره.

المطلب الأول: اهتمامه باللغة العربية ودفاعه عنها:

قبل أن يكون الإمام محمد البشير الإبراهيمي مفكرا مصلحا وسياسيا محنّكا ،كان أديبا بليغا، وشاعرا وخطيبا مفوّها، عالما فقيها في العربية، خبيرا بأسرارها، متضلّعا في آدابها وفنونها، وقد حاز الإبراهيمي بما امتلك من علم، تقدير كبار رجال الفكر الذين عرفوه واحتكّوا به، فهو عندهم العالم اللغوي والأديب الذي له أسلوب يضارع أساليب فحول الكتّاب، فاستحقّ بذلك ثناء العلماء ،كشيخ الشام محمد بهجت البيطار الذي رآه بمثابة دائرة معارف، وإعجاب الطلاب كجميل صليبا الذي كشف في مذكراته عن اغتباط الطلبة بدروسه، ذاك الأسلوب العذب عذوبة الماء الزّلال، وهذه المكانة الجليلة لشيخ العربية في نفوس أهل العلم حملت كذلك الشعراء على الإشادة بخصاله ومحامده، فشهد له محمد العيد آل خليفة بالإمارة في مجال الشعر، أما رفيق دربه وصفه في الأعمال الجليلة: العلامة عبد الحميد بن باديس فيجعله فخر علماء الجزائر ويشهد له بالإمارة في مجال الكتابة.[1]

فالإبراهيمي رجل ألمعيّ ملمّ باللغة ،نهل من ينبوع لا ينضب معينه، وصورة من صور الإبداع الأدبي ،وقامة من قامات البيان العربي قلّ مثيلها في الخطاب العربي المرسل ،وقد قال فيه الشيخ محمد الغزالي – رحمه الله – :" كان لكلماته دويّ بعيد المدى، وكان تمكّنه من الأدب العربي بارزا في أسلوب الأداء وطريقة الإلقاء، والحق أن الرجل رزق بيانا ساحرا، وتأنقا في العبارة يذكرنا بأدباء العربية في أزهى عصورها ".[2]

فإذا خاطب الناس أو كتب شيئا، ألهب النفوس حماسة وجعل القلوب تشرئب إليه للإستمتاع بفصاحة لسانه وحرّ بيانه، يدخل المجلس كزهرة ذابلة فإذا هو بعد الأخذ بناصية الكلام أشبه شيء بكوكب دريّ.[3]

إن المتتبع لجهود الإبراهيمي يجد أنه أسهم في إثراء الحياة الأدبية عن طريق العديد من الآثار التي خلّفها وراءه في شتى المجالات، فقد خلّف إنتاجا غزيرا يشهد أنه بحق مدرسة كاملة

[1] – علي محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، ط1،(1438هـ – 2017 م)، ج3،ص221.

[2] – محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج4،ص 05.

[3] – أحمد توفيق المدني ،الإبراهيمي كان أمة، كان جيلا، كان عصرا، ص57.

،بل فلته من فلتات هذا الزمان كما كان ينعته كبار المفكّرين والأدباء العرب والمسلمين.

وأحبّ أن أؤكد هنا كما رأينا سابقا أن حياة البشير الإبراهيمي ورحلاته التعليمية والعلمية، لم تكن إلا جهودا منه في سبيل ترقية اللغة العربية أينما حلّ وذهب، وكيف دافع عن اللغة العربية من مخططات الإستعمار الفرنسي التي كانت ترمي إلى طمسها وتشويهها.

لقد كان الإبراهيمي يؤمن إيانا مطلقا بأن اللغة العربية هي وعاء الإسلام وحافظة قرآنه وتراثه، وأن المحافظة على اللغة العربية في الجزائر تعني بقاء الإسلام في الجزائر، وبقاء العروبة في الجزائر، وإنما محاولة فرنسا القضاء عليها إنما يستهدف عروبة الجزائر وإسلامها في الدرجة الأولى.[1]

يقول الشيخ الإبراهيمي تحت عنوان " اللغة العربية في الجزائر": " اللغة العربية في الجزائر ليست غريبة ولا دخيلة ،بل هي في دارها وبين حماتها ،وأنصارها، وهي ممتدة الجذور مع الماضي مشتدّة الأواصر مع الحاضر، طويلة الأفنان في المستقبل... ".[1]

وقال في مقام آخر: " إن العربية هي لسان العروبة الناطق بأمجادها، الناشر لمفاخرها وحكمها، فكل مدّع للعروبة فشاهده لسانه، وكل معتز بالعروبة فهو ذليل إلا أن تمده هذه المضغة الليّنة بالنصر والتأييد، فالينظر أدعياء العروبة الذين لا يريدون ألسنتهم على بيانها ولا يريدون أفكارهم على حكمتها في أيّة منزلة يضعون أنفسهم.

وقال في مقام آخر بعنوان" التعليم العربي" :اللغة العربية هي لغة الإسلام الرسمية، ومن ثمّ فهي لغة المسلمين الدينية الرسمية ولهذه الأمة الجزائرية حقّان أكيدان، كل منهما يقتضي وجوب تعلّمهما، فكيف إذا اجتمعا، حق من حيث أنها لغة دين الأمة بلحكم أن الأمة مسلمة، وحق أنها لغة جنسها بحكم أن الأمة عربية الجنس ،ودين معا، ومن هنا نشأ ما نراه من حرص متأصّل في هذه الأمة على تعلّم العربية.[2]

ويطول بنا الحديث كثيرا إذا ذهبنا إلى نقل النصوص الكثيرة التي كتبها الشيخ البشير الإبراهيمي عن اللغة العربية، فهو عندما يكتب عن هذه اللغة يكتب عنها بدم قلبه لا بالحبر العادي، ولذلك

1 – محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،ج3، ص206.

2 – المرجع نفسه،ج1،ص21.

بذل في سبيل تعليمها ونشرها الشطر الأكبر من حياته، وكان قلمه عندما يكون في موقف الدفاع عن العربية والإسلام أقوى ما يكون وأعنف وأشد ما يكون، حتى كأنه السيف المسلّط على رقاب أعداء العروبة والإسلام.

إن من النتائج البارزة التي يمكن استخلاصها من نشاط محمد البشير الإبراهيمي ودفاعه عن العربية، أنها بعثت روحا جديدة في أوساط المجتمع ،فتخلى بفضلها عن كثير من الخرافات والفهم غير السليم للدين والتاريخ والحضارة ،وكذلك ما كان يقوم به البشير الإبراهيمي حين كان رئيسا للجمعية، كان عملا نبيلا وجبّارا، فقد ضل يجوب أنحاء الوطن مدينة مدينة وقرية قرية ليطّلع من خلال ذلك على جهود جمعية العلماء وليوسع نشاطها، وكان حريصا على تزويد المدارس بالتوجيهات والمناهج والكتب التي تشرح الأسلوب الذي يجب اتباعه في مجال تنشئة الأجيال، وبالتالي نجح الإبراهيمي في مهمته وفي تبليغ رسالته بفضل منهجه في التعليم الذي كان يشدّد على أن يكون مبنيا على خاصّيتين هما:

- ان يكون تعليما عربيا في لغته وأهدافه ومضامينه، بحيث ينسجم مع مقوّمات الأمة وموروثها الحضاري.
- أن يكون وطنيا وليس مستوردا، ولا تسهم في صنعه أفكار أجنبية فلا بد ان يكون نابعا من عبقرية الأمة، وعليه طابعها وخصوصياتها ،بحيث تصنعه بنفسها ووفق إرادتها، وتظمينه الروح التي تعيش في أعماق كل فرد من أفرادها، فرحم الله الشيخ الإبراهيمي وجزاه الله عن دفاعه عن اللغة العربية في أصعب الظروف جنة عرضها السماوات والارض.[1]

1 – محب الدين إيمان، محمد البشير الإبراهيمي حامل لواء الدفاع عن اللغة العربية، مقال صدر في أقلام الهند، مجلة إلكترونية محكمة، السنة الثانية، العدد الثالث، سبتمبر 2017،دراسات ومقالات ،تاريخ التصفح 2021/07/10،الساعة 08:30، https://www.aqlamalhind.com/?p=825

المطلب الثاني : دعوة الإبراهيمي إلى فهم وتدبر القرآن الكريم:

ارتكزت الثقافة العربية عند الإبراهيمي على قاعدة القرآن الكريم الذي حفظه كلَّه عن ظهر قلب وهو في التاسعة عن عمره، ودأب على تدارسه والمتمعُّن في معانيه، وتذوُّق بيانه طول عمره، فظهر أثر ذلك كله في نفسه، وقلبه، وفكره، ولسانه، فهو بالنسبة إليه المورد والمصدر، منه يستقي وإليه يعود.

ولقد دلَّت كتاباته عن القرآن على إدراك عميق لأسراره، وفهم دقيق لمعانيه، وتذوُّق قلَّ نظيره لإعجازه، ولعلَّ هذه الخاصية هي التي جعلت ابن باديس يدعوه إلى أن يخلُف رشيد رضا في إكمال تفسير القرآن على طريقة المنار.

وكان الإبراهيمي يوصي الشعب الجزائري بالعيش مع القرآن في هذا المجال، قال: أحيوا قرآنكم تحيوا به، حقِّقوه يتحقق وجودكم به، أفيضوا من أسراره على سرائركم، ومن آدابه على نفوسكم، ومن حكمه على قولكم، تكونوا به أطباء، ويكن بكم دواء.[1]

ويذكر الإبراهيمي في معرض حديثه بمناسبة ختم الإمام عبد الحميد بن باديس لتفسير القرآن أن بعض العلماء سُئل عن أي آية تصلح أن تكون عنوانًا على القرآن كله بحيث إذا كُتبت على ظهر المصحف كانت تعريفًا كاملًا به، شاملًا لجميع المعاني الكلية التي يجدها المتصفح فيه كما تعرف الكتب الكبيرة بجمل قصيرة، فكان جواب هذا العالم: يصلح لذلك قوله تعالى: **﴿هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ابراهيم 52**

وهذه الآية الكريمة بيان إلهي معجز للحكم التي اقتضت نزول القرآن والحكم التي نزل لبيانها القرآن والمثل العليا للكمال الإنساني الذي دعا إليه القرآن متدرجة في وضعها البياني تدرجها الطبيعي من نفس سامعها، بلاغ فإنذار، فعلم، فتذكّر.[2]

وقد يسأل عالم آخر فيقع على قوله تعالى: **﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (ال عمرا 138)**

[1] – علي محمد الصَّلاَّبي، البشير الإبراهيمي جاحظ عصره وبديع زمانه، مجلة الشروق، 2018/12/09،تاريخ التصفح2021/07/08،الساعة09:30، الرابط https://www.echoroukonline.com/.

[2] – محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،ج1، ص320.

وقوله تعالى : ﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

والكل مصيب رضي القانون الجدلي أم سخط. وإن كان هناك تفاوت بين الآيات في الإحاطة والبيان، فلكل جملة تزيد في آية موقع ودلالة، ولكل كلمة تزيد في جملة معنى وحالة.

أما أنا- ولا أعوذ بالله من كلمة أنا- فلو أُلقي علي هذا السؤال لتمردت على قوانين الجدال وأجبت على المغافصة والارتجال، ولم أرع إلا الاعتبار المناسب ومقتضى الحال. وجررت السائل (عن وظائف) القرآن إلى (وظائف) أهل القرآن مع القرآن، وقلت للسائل ضع على ظهر المصحف بالقلم العريض قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ سورة الانعام 155

بين أقواس علّ هذه الأقواس المنحنية تصيب من قارئه شاكلة انتباه فتزعجه إلى معرفة أن هاتين الآيتين هما جواز الداخل إلى أقطار القرآن، وعل هذه القلوب القاسية تستشعر حق القرآن عليها ووظيفتها التي يجب أن تقوم بها نحوه، وهي التدبر لمعانيه واتباعه [1].

والتدبر كما يقول الزركشي في البرهان واجب مفترض [2].

إن حقوق القرآن علينا من التدبر والاتباع، هي التي يعروها ما يعروها من الإهمال والضياع والتفريط والغفلة. فهي التي يجب التنبيه لها والتذكير بها دائمًا والدلالة على مواقعها من آيات الكتاب العزيز، وهي التي يجب على العالم القرآني أن يختار للتذكير بها أصرح الآيات في معناها وأظهر الجمل في الدلالة عليها وأقرب الألفاظ لأذهان الناس، وجدنا بينهما فرقًا جليًّا لا يُستهان به في مقام التذكير والإبلاغ في التأثير. فإن الإنذار- وإن كان معناه الإعلام بالشيء مع التخويف من عواقبه- لا يستلزم التدبر الذي هو انفعال نفساني ذاتي يفضي إلى النظر في إدبار الشيء وغاياته على وجه من

1 – محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 321.

2 – أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،الطبعة: الأولى، 1376 هـ - 1957 م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه (ثم صوَّرته دار المعرفة، بيروت، لبنان - وبنفس ترقيم الصفحات).

التكلف والتدرج يفيده بناء تفعُّل وأثر الإنذار تأثير خارجي، وأثر التدبر تأثر ذاتي، والإنذار لا يشعر النفس ما يشعرها التدبر من العهد المسؤول والأمانة الثقيلة.[1]

المطلب الثالث: رأي الإمام الإبراهيمي في بلاغة القرآن وأوجه الإعجاز عند غيره.

لازال علماء الإسلام يعتنون بإبراز وجوه إعجاز القرآن الكريم، ويستخرجون عجائب هذا التنزيل، للدلالة على مصدر الربّاني، وأنه كلام ربّ العالمين الذي يعجز البشر أن يأتوا بمثله في نظمه وبلاغته وأحكامه وتشريعاته وأخباره وعلومه فقد ألّف علماء الإسلام في ذلك كتبا صغارا وكبارا. وفي العصر الحديث الذي واكب تطورا صناعيا وعلميا مذهلا، كثرت الشبه والسهام الموجهة نحو القرآن الكريم، تنهّمه بالعجز والقصور، فانبرى العلماء المصلحون لبيان دلائل صدق القرآن وإعجازه الشامل وكثرت العناية بإبراز وجوه جديدة لإعجازه.

وكان من رواد هذا المضمار الشيخ البشير الإبراهيمي رحمه الله الذي عايش المرحلة الاستعمارية التي عمّ فيها الجهل، حتى انبهر كثير من المسلمين بالتقدّم الغربي في ميدان العلوم التجريبية وغيرها، وقلّ الاعتناء بالقرآن تدبّرا وعملا، فتوجهت الكتابات الإصلاحية في هذا العصر إلى ردّ الاعتبار للقرآن، وبيان علوّ منزلته ودلائل صدقه، يظهر ذلك فيما كتبه: محمد رشيد رضا في « تفسير المنار» والشيخ محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره « التحرير والتنوير» والإمام عبد الحميد بن باديس في كتابه (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير) وغيرهم كثر.

ولما كان الشيخ الإبراهيمي خرّيج هذه المدرسة الإصلاحية، كان ولا بدّ أن يسهم في هذا الميدان اتّباعا لأسلافه من المصلحين، فقال كما جاء عنه في الآثار: إن وصف القرآن وأساليب التشويق إلى القرآن لا توجد على أكملها في غير القرآن فلو أن البلغاء من كل أمة وفي كل جيل اجتمعوا على أن يصفون ببعض ما وصف به نفسه، وكانت قلوبهم على قلب رجل واحد، وألسنتهم على لسان رجل واحد لعجزوا وقعد بهم القصور دون الغاية من ذلك.

ولقد وصفه جماعة من الباحثين في إعجازه وأسراره والمتكلمين على قصصه وأخباره والمنقّبين على مثلاته وعبره، والغائصين على نكت التناسب بين آيِهِ وسوره، فجاؤوا بما يشبه قصورهم الإنساني لا

1 – محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج 1، ص 321.

بما يشبّه كماله الإلهي! ووصفه قبلهم أعداؤه اللدّ من مضغة الشيح والقيصوم أوصافا منصفة، فما بلغ هؤلاء ببلاغتهم ولا أولئك بإيمانهم وعلومهم غاية مما يريدون.

وصفه الوليد بن المغيرة فقال: " إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر" فعبّر عن هذا الوصف عن وجدانه النفسي وعن أثر القرآن في ذلك الوجدان، ولاتّصال الشعور بالوجدان جاء هذا الوصف شعريا كما تر إننا نعدّ من إعجاز القرآن في البلاغة ما هو شائع في جميع آياته من:

1 – الدقة المتناهية في تحديد المعاني.

2– تصوير الحقائق.

3– تنزيل الألفاظ في مراتبها.

4– التراوح بين الصفتين أو الصفات حتى كأنها صفة واحدة، كالقوي الأمين، والغني الحميد، والحفيظ العليم، والعليم الحكيم، فليقصر الواصفون وليدعوا القرآن يصف نفسه بتلك الدقّة العجيبة وذلك التصوير الرائع، وليسلك الدعاة سبيلهم إلى نفوس الناس بهذه الأوصاف الرائعة من هذه الآيات الجامعة، فإن ذلك أوعى إلى التأثير والتأثر وأبلغ في باب التشويق من كل تبويب في الكلام وتحبير وتزويق، لكي يقع كل ما وصفه به البشير الإبراهيمي

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس 57) وما في هذه الآية من جمع أصول الإصلاح التي جاء بها القرآن مرتّبة في الذكر ترتيبا في الوجود؟!.[1]

أما أوجه الإعجاز عند غيره من المحدثين المعاصرين والذين تكلموا عن الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم نذكر منهم:

1. **محمد عبده (1849–1905م)**،(**رسالة التوحيد**): أودع كلامه في الإعجاز في كتابه (رسالة التوحيد)، فهو يرى أن القرآن معجز لأنه صدر عن نبي أمّيّ حيث يقول: " أليس في ظهور مثل هذا الكتاب على لسان أمّيّ أعظم معجزة وأدّل برهان أنه ليس من صنع البشر ".

1 – محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج 1، ص323,324.

وإعجاز القرآن يقوم عنده –محمد عبده– على البلاغة فيقول:" وهو تقاصر البشرية دون مكانته من البلاغة، وقلنا القوى البشرية لأنه جاء بلسان عربي، وقد عرف الكتاب عنه جميع العرب... ومع ذلك لم يكن للعرب أن يعارضوه بشيء من مبلغ عقولهم، فلا يعقل أن فارسيا أو هنديا أو رمانيا يبلغ من قروة البلاغة في العربية، أن يأتي بما عجز عنه العرب أنفسهم، وتقاصر القوى عن ذلك ... وامتاز الكثير منهم بالعلم والدراسة دليل قاطع على أن الكلام ليس مما أعتيد صدوره عن البشر". [1]

2. الشيخ محمد رشيد رضا (1865–1935م) في (تفسير المنار):

له تفسير واصل به تفسير أستاذه الشيخ محمد عبده، وهو بعنوان تفسير المنار، لم يتحدث في مقدمته عن الإعجاز، وإنما تكلم عليه وهو يفسر آيات التحدي في سورة البقرة.[2]

ويرى أن إعجاز القرآن في نفسه وذلك ببلاغته وكونه جاء على لسان أمّيّ، لبث أربعين سنة لم يوصف خلالها بالبلاغة وعقد الأستاذ المفسر فصلا في تحقيق وجود الإعجاز فصّل إلى عشرة أوجه نذكر منها:

1. إن من إعجاز القرآن ما فيه إخبار عن الغيب.

2. أن من إعجازه سلامته من الاختلاف.

3. أنه معجز بالعلوم الدينية، والأحكام الموافقة لكلّ زمان ومكان.

4. أنه معجز يقضي بالعلوم العصرية التي سبق القرآن إلى تبيانها، ويضرب على ذلك أمثلة كثيرة من القرآن.

5. إن القرآن دليل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

6. إن التحدي حجّة على نبوّته بصرف النظر عن المتحدي ما هو. [3]

7. ويتبين من هذا أن الإعجاز عنده يقوم على البلاغة والعلم معا.

---

1 – محمد عبده ،رسالة التوحيد، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق،بيروت،الطبعةالأولى،1994م،ص 132.

2– نعيم حمصي، فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية 1400هـ-1980م،ص313

3 – ينظر، محمد رشيد رضا، تفسير المنار، دار المنار، الطبعة الثانية 1947م،ج1،ص 189-219.

3. **الإمام عبد الحميد بن باديس (1889–1940م) في كتاب (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير) :**

يرى الشيخ ابن باديس أن أعظم وجه من وجوه الإعجاز القرآني وأظهره، هو الإعجاز البلاغي (البياني) فقال: " القرآن أعجز العرب ببلاغته، حتى عرفوا وعرف العلماء بلسانهم المرتاضين ببيانهم أنه ليس مثلهم من طوق البشر، هذه هي الناحية الظاهرة في إعجاز القرآن والاستدلال به له ولمن أتى به صلى الله عليه وسلّم ". وبالرغم من أن الإعجاز البياني للقرآن له ضروف يصعب حصرها إلا أن ابن باديس اعتنى في تفسيره ببيان بعض تلك النواحي الإعجازية في التعبير القرآني، خاصة أنه معروف بنزعته البلاغية، وتذوقه لفنون الكلام فكان يتعرض في بعض المواضع في تفسيره لبيان هذا اللون من الإعجاز، ومن أمثلة ذلك:

1- إعجاز الألفاظ القرآنية: إن المتأمل في الألفاظ القرآنية يدرك إعجازا بلاغيا في اختيارها واستعمالها وتركيبها.

2- الإعجاز في قصص القرآن: اعتنى ابن باديس ببيان وجه الإعجاز في التعبير والتصوير القرآني عند كلامه عن الإعجاز القصة القرآنية.

3- الإعجاز في ترتيب كلمات القرآن: ومن وجوه الإعجاز البلاغي التي أظهرها ابن باديس البلاغة في ترتيب كلمات القرآن على نسق معجز.

4- الإعجاز في القراءات القرآنية: ومما أبرزه الشيخ ابن باديس من بلاغة القرآن المعجزة، ذلك السر العظيم في إستعمال القرآن لألفاظ ذات معاني متنوعة، ويكون معنى الآية صحيحا في استعماله على جميع تلك المعاني للفظ الواحد، وهذا لا يدركه إلا من أحاط بالكلام كله لفظه ومعناه، ولا يستطيعه البشر القاصر ولقد نبّه ابن باديس على هذا الوجه من الإعجاز فقال: « على أنه من بلاغة القرآن أن تأتي مثل هذه الآيات بوجود من الاحتمالات متناسبات غير متناقضات، فتكون الآية الواحدة بتلك الاحتمالات كأنها آيات، نظير مجيء الآية بقراءتين فتكون كآيتين...». [1]

1 – عبدالحميد بن باديس ،مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير(تفسير ابن باديس)،اعتنى به وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبدالرحمن محمود، الطبعة الأولى، الجزائر، دار الرشيد،ج2،ص 154- 155.

4. الدكتور فاضل صالح السامرّائي (ولد 1933م) (التعبير القرآني) :

يعد فاضل صالح السامرائي من الذين أبحروا في مجال الإعجاز القرآني فكان له الحظّ من خلال خوضه في هذا المجال وما جاء به النص القرآني، ويرى أن وجوه الإعجاز تتمثل في:

1- **البنية في التعبير القرآني:** يستعمل القرآن الكريم بنية الكلمة استعمالا في غاية الدقة والجمال.

2- **التقديم والتأخير:** يمكن تقسيم أحوال التقديم والتأخير إلى قسمين:

- تقديم اللفظ على عامله.
- تقديم اللفظ وتأخيره على غير العامل.

3- **الذكر والحذف:** يدخل في هذا الموضوع ما حذف وأصله أن يذكر كحذف حرف أو فعل أو اسم مما أصله أن يذكر كما يدخل فيه فيما ذكر في موطن ولم يذكر في موطن آخر يبدو شبيها به.

4- **التوكيد:** من المعلوم أن يؤتى بالألفاظ المؤكدة بحسب الحاجة إليها فقد يكون الكلام لا يحتاج إلى توكيد وقد يحتاج إلى مؤكد واحد أو أكثر بحسب ما يقتضيه المقام.

5- التشابه و الاختلاف: في القرآن الكريم آيات وتعبيرات تتشابه مع تعبيرات أخرى ولا تختلف إلا في مواطن ضئيلة، كأن يكون الاختلاف في الحرف أو الكلمة أو نحو ذلك.

6- **السّمة التعبيرية للسياق:** قد تكون في السياق التي ترد فيه الآية سمة تعبيرية خاصة فتتردد فيه ألفاظ معينة بحسب تلك السمة وقد يكون للصورة كلها جو خاص وسمة خاصة، فتطبع ألفاظها بتلك السمة، وهذا واضح وكثير في القرآن الكريم.

7- **الحشد الفنّي:** كأن يختار لفظة على لفظة أو يقدم لفظة على أخرى أو يزيد في مكان ويحذف في مكان آخر ونحو ذلك، ومثال ذلك ما ورد في سورة الأعراف فقد بدأت بقوله تعالى: **﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الاعراف 2**

وقوله تعالى ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الاعراف 204.

حيث بدأت السورة بذكر الكتاب وختمت به أيضا. [1]

من هنا يمكن القول بأن أوجه الإعجاز عند الابراهيمي تصب في بوتقة واحدة مع غيره من المعاصرين وكلها تدور حول بلاغة القرآن الكريم إلا أن الشيئ الذي يميزه عن غيره هو ربط بلاغة القرآن الكريم بالواقع يتجلى ذلك في محاضراته وخطبه ودعوته إلى فهم وتدبر القرآن واتخاذه منهج حياة.

والدراسات حول القرآن وبيانه وإعجازه وبلاغته لن تتوقف، وستصدر دراسات قادمة عديدة، وستبقى تصدر حتى قيام الساعة، وسيبقى القرآن جديدا ومعجزا، وكلما صدرت عنه دراسة كلما ازداد حدّة وجمالا وروعة وإعجازا!!

1 – فاضل صالح السامرائي ،التعبير القرآني، دار عمان، الطبعة الخامسة،2007م،ص 49-282.

المبحث الثاني

من وجوه بلاغة الألفاظ والأساليب عند الإبراهيمي

المطلب الأول: اختيار الألفاظ ودقة توظيفها .

تمهيد

لفظ الإخراج

لفظ الإستعمار

لفظ ليذكّر.

المطلب الثاني: بلاغة الأساليب

تمهيد

1 -أسلوب التقديم والتأخير.

الإنس والجن.

الإنذار والتبشير.

التزكية والتعليم.

2 - أسلوب الإفراد والجمع.

الحزب والأحزاب.

المال والأموال.

المطلب الأول: اختيار الألفاظ ودقة توظيفها.

تمهيد:

الألفاظ في البيان القرآني تتميز بدقة اختيارها ومطابقتها للمعنى، لا تتوفر لأي عمل أدبي يقول الخطابي (ت.388هـ) في هذا المقام "وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة لفظ حامل، ومعنى به قائم ورباط لهما ناظم .وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظما أحسن تأليفا وأشد تلاؤما وتشاكلا من نظمه .أما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها، والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها". [1]

1- لفظ" الإخـراج":

من اللطائف أن القرآن ذكر قصّة الهجرة المحمدية من مكة إلى يثرب بأسلوب ليس من نسق التاريخ فسمّاها إخراجًا من الذين كفروا ولم يسمّها هجرة بصريح اللفظ، وإن سمّى الصحابة المهاجرين، ونوّه بالهجرة، وحضّ عليها، وقرنها بالإيمان، وجعلها شرطًا في الولاية قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ﴾[الأنفال: 72] وبعض الحكمة في ذلك أن التذكير بالإخراج من الديار يُذكي الحماس، ويُبقي الحنين إلى الديار متواصلًا، ويُنمّي غريزة الانتقام والأخذ بالثأر، وأن إيجاب الهجرة بتلك الأساليب المغرية البديعة، هو جمع لأنصار الحق في مأرز واحد، بعد تشتّتهم لينسجموا ويستعدّوا إلى الرجعة والكرّة.

وانظر إلى بدر والحديبية وعمرة القضاء تجدها كلها تعبّر عن اتجاه وتحويم، وعن حنين إلى مكّة تدل مظاهره على خفاياه، ثم انظر أية ثورة تثيرها في النفوس الحرّة آية ﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ

[1] – الخطابي أبو سليمان حمد بن محمد، بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق أحمد محمد خلف الله، دار المعارف ،القاهرة،1967م ،ص24.

كَفَرُوا ﴾ التوبة: 40. وآية: قَالَ تَعَالَى:﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ [الفتح:65].[1]

وأسند الإخراج إلى الكفار كما أسند إليهم في قوله: مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ لأنهم حين هموا بإخراجه أذن الله له في الخروج، فكأنهم أخرجوه ثانِيَ اثْنَيْنِ أحد اثنين.[2]

إن للإخراج من الديار لشأنًا أيّ شأن في القرآن، فهو يُبدئ ويعيد في تقبيحه وإنكاره وتحريمه، وهو يقرنه بالقتل تشويهًا له وتشنيعًا عليه، وإن له في نفوس الأحرار لأثرًا يتعاصى عن الصفح والعفو، وإن له في نفس سيد المرسلين لوقعًا مؤلمًا من يوم قال له ورقة: "إذ يخرجك قومك"، فقال: "أوَ مخرجيَّ هم؟ " إلى يوم أخرجه قومه بغير حق، إلى يوم أخرجه ربّه إلى بدر بالحق، إلى يوم صدَقَه ربّه الرؤيا بالحق.[3]

2- لفظ " الاستعمار":

ورد في الآثار قول الإبراهيمي: عجيب... وهل الإستعمار مظلوم؟ إنما يقول هذا (كولون الشمال) أصحاب الكيمياء التي أحالت السيد عبدا، والدخيل أصيلا، أما أنت فتوبتك أن تحشر كلمة " مظلوم " هذه في الكلمات المظلومة.

هوّن عليك فإن المظلوم هنا هو هذه الكلمة العربية الجليلة التي ترجموا بها لمعنى خسيسي.

مادة هذه الكلمة هي العمارة ومن مشتقاتها التعمير، والعمران، وفي القرآن: قَالَ تَعَالَى:﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [هود:61]، فأصل هذه الكلمة في لغتنا طيّب، وفروعها طيّبة ومعناها القرآني أطيب وأطيب ولا ننكر في استعمالاتها في ألسنة خاصتنا وعامتنا. [4]

يقول الزمخشري في الكشّاف: وإنشاؤهم منها خلق ءادم من التراب واستعمركم فيها وأمركم بالعمارة.

وقيل " استعمركم " من العمر، نحو استبقاكم من البقاء وقد جعل من العمرى وفيه وجهان:

---

[1] - محمّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي ،آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي، ج3،ص 472.

2- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة - 1407 هـ،ج2، ص 272 .

3 - محمّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، المرجع نفسه ج3،ص 472.

[4] - محمّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي ،آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي، ج3 ،ص 506.

احدهما: أن يكون استعمر في معنى أعْمَر، كقولك استهلكه في معنى أهلكه، ومعناه: أعمركم فيها دياركم، ثم هو وارثها منكم عند انقضاء أعماركم.

والثاني: أن يكون بمعنى جعلكم معمّرين دياركم فيها، لأن الرجل إذا ورّث داره من بعده فكأنما أعمره إياها لأنه سيسكنها عمره ثم يتركها لغيره .[1]

كما جاء في التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: الإستعمار: الإعمار أي جعلكم عامرينها، فالسين والتاء للمبالغة كالتي في استبقى واستفاق.

ومعنى الإعمار أنهم جعلوا الأرض عامرة بالبناء والغرس والزرع لأن ذلك يعدّ تعميرا للأرض حتى سمي الحرث عمارة لأن المقصود منه عمر الأرض[2]

ويقال أعمرته الأرض واستعمرته إذا جعلته عامرها وفوضت إليه عمارتها [3].

إن اخراج هذه الكلمة من المعنى العربي الطيب إلى المعنى الغربي الخبيث ظلم لها، فاستحقّت الدخول من هذا الباب، والادراج تحت هذا العنوان فالذي حيّر هذه الكلمة بغيضة إلى النفوس ثقيلة على الأسماع، مستوخمة في الأذواق، هو معناها الخارجي كما يقول المنطق وهو معنى مرادف للإثم، والبغي، والخراب، والتعدي، والفساد، والنهب، والسرقة، والقسوة، والانتهاك، والقتل، والحيوانية... إلخ إلى عشرات من مئات من هذه الرذائل تفسّرها آثاره وتنجلي عنها وقائعه [4].

من خلال تتبع معاني كلمة " الإستعمار " في العربية معان طيبة على العكس من ذلك إذا سمي بها الغرب الخبيث فالشيخ الابراهيمي يرى استعمال كلمة "استغراب" بدل " استعمار " لأنه يخرّب الأوطان والأديان والعقول والأفكار، ويهدم القيم والمقامات والمقوّمات والقوميات.

كما حثّ المجامع اللغوية أن تمنع استعمال هذه الكلمة في هذا المعنى الذي لا يقوم بحمله عربة مزابل.

---

[1] – الزمخشري، الكشاف، ج4، ص 220-222.

[2] – محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، التونسية للنشر – تونس 1984هـ ،ج 12، ص 108.

[3] – شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ،ج6،ص 286.

[4] – محمّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي ،آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي، ج3،ص 506،.

3- لفظ " ليذّكر":

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم: 52]، أصلُه وليتذكر، أدغمت التاء في الذال لتقاربهما في المخرج، والتذكر تفعُّلٌ من الذكر الذي هو ضد النسيان، والمراد من الذكر هنا ذكر القلب لأنه الذي يقابل بالنسيان، بخلاف ذكر اللسان الذي أصبح فتنة للمسلمين فإنه عمل جارحة، وهو فعل يُقَابَل بالترك، وإنما طالبنا الله أن نذكره بقلوبنا ولأنفسنا لنستشعر دائمًا عظمته وجلاله، ونخافه ونرجوه، فيكون ذلك مدعاةً للوقوف عند حدوده، وذلك هو نهاية الكمال الإنساني.[1]

المطلب الثاني: بلاغة الأساليب.

تمهيـــد:

فصاحة القرآن وبلاغته ونظمه من أنواع الإعجاز فيه فالمتأمل فيها يندهش لروعة ما يقف عليه ويتبين له من مكنونات وأسرار تأسر العقول وتهتز لها النفوس وتشتهي طربا القرآن لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد ولا يشبع منه العلماء وكيف لا وهو كلام الله جل وعلا.

« ومن له أمعن بالتأمل بان له كل خفي وجلي » كما يقول الإمام السيوطي رحمه الله ومن إعجاز نظمه التقديم والتأخير فذلك من أساليب البلاغة الدالة على التمكن في الفصاحة والبيان والقرآن هو أعلى مثل في ذلك فإنا نراه يقدم لفظة مرة ويؤخرها مرة أخرى وقد يقدم الأدنى قبل الأعلى والعام قبل الخاص وهكذا ولاشك أن لذلك معاني عظيمة ولطائف حليلة يقول الجرجاني " وهو باب جمّ المحاسن واسع التصرف... إلى مكان ".[2]

ومن أمثلة ما ذكر في أسلوب التقديم والتأخير ومما ذهب إليه الإبراهيمي من خلال آثاره:

[1] – محمّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي ،آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي،ج 1، ص 401.

[2] – أبو بكرعبدالقاهر بن عبدالرحمان بن محمد الفارسي الأصل الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة 1413هـ-1992م،ص106.

1- أسلوب التقديم والتأخير:

الإنس والجن:

يقول الإبراهيمي« ومن دقائق القرآن ولطائفه في البلاغة أنه يقدم أحد الاسمين المتلازمين في آية لسر من أسرار البلاغة يقتضيها ذلك المقام، ثم يؤخر ذلك المقدم في آية أخرى لسر آخر، فيقدم السماء على الأرض في مقام ويؤخرها عليها في مقام آخر، ومن هذا الباب تقديم الإنس على الجن في آية الأنعام لأن معرض الكلام في عداوتهم للأنبياء وفي من الإنس أظهر ودواعيها من التكذيب . والإيذاء أوضح وفي آية " الناس " قدم الجنة على الناس لأن الحديث عن الوسوسة وهي من شياطين الجن أخفى وأدق، وإن كانت من شياطين الإنس أعظم وأخطر وأدهى وأمر، فشيطان الجن يستخدم شيطان الإنس للشر والإفساد فيربي عليه ويكون شرا منه لأنه بمثابة السلاح الذي يفتك به، ورب كلمة واحدة صغيرة يوحيها جني لإنسي ويوسوس إليه بتنفيذها، فتتولد منها فتن ويتمادى شرها من قرن إلى قرن ومن جيل إلى جيل، وهذا النوع الإنساني المهيأ لقابلية الخير وقابلية الشر، إذا انحط وتسفل كان شرا محضا، وإذا ترقى وتعالى شارف أفق الملإ الأعلى وأوشك أن يكون خيرا محضا لولا أن العصمة لم تكتب إلا لطائفة منه وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

فالإنسان إذا انحط يكون شرا من الشيطان، وإذا ارتقى يكون أفضل من الملك – أعني جنس الإنسان . ومن هذا الجنس كان محمد – صلى الله عليه وسلم – أكمل الخلق الذي ليس لمخلوق رتبة مثله في الكمال[1] .

وذهب فضل حسن عباس في كتاب (إعجاز القرآن) إلى القول بأن الآيات التي ذكر فيها الجن والإنس يقدم فيها ما يستدعي السياق تقديمه فعند التحدي بالقرآن نقدّم الإنس لأنهم هم المقصودون بالتحدي وحين كان التحدي بالنفوذ من أقطار السماوات والأرض قدّم الجن لأنهم أقدر على ذلك قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾[الإسراء :88] قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

[1] – محمّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي ،آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي ،ج 1، ص 359 . .

فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الرحمن :33] وقد يكون التقدم تقدما زمنيا ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ چ [الذاريات: 56] لأن الجن خلقوا قبل الإنس وقد يكون التقدم دليلا على الفضل والشرف قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ ﴾[الرحمن: 14- 15] .[1]

إلتمس بعض العلماء الحكمة من تقديم الجن على الإنس في قوله تعالى﴿ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [الذاريات:56] فقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وتقديم الجن في الذكر في قوله تعالى ﴿ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ للإهتمام بهذا الخبر الغريب عند المشركين الذين كانوا يعبدون الجن ليعلم أن الجن عباد الله تعالى فهو نظير قوله تعالى﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأنبياء: 26] .[2]

وقال الزحيلي : وحكمة تقديم الجن على الإنس أن عبادتهم سرّية لا يدخلها الرّياء كعبادة الإنس».[3]

الإنـذار والتبشير:

الْإِنْذَار وهو الْإِعْلَامُ مَعَ التَّخْوِيفِ فِي مُدَّةٍ تَسَعُ التَّحَفُّظَ مِنَ الْمُخَوَّفِ، وَإِنْ لَمْ تَسَعْ سُمِّيَ إِعْلَامًا وَإِشْعَارًا وَإِخْبَارًا.[4]

[1] فضل حسن عباس، إعجاز القرآن، ص 198-199

[2] -التحرير والتنوير ،ابن عاشور ،ص 28 ج13.

[2]- الدكتور وهبة الزحيلي، التفسير الوسيط ،دار الفكر، دمشق ط 1 ،1422هـ-2001م، ج 27،ص 48.

[4] - أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، الطبعة: 1420 هـ،ج1،ص 76.

التبشير وهو الخبر السار من البِشارة والبُشْرَى، قال تعالى:﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾[يونس: 64] واستبشر: إذا وجد ما يبشّره من الفرح، قال تعالى:﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ ﴾ [آل عمران:**170**].[1]

جاء في الآثار عن الإبراهيمي قوله تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ ﴾ [يونس: 2] وقدّم التبشير على الإنذار في اللفظ أحيانا، لأنه النتيجة والمقصود والثمرة. وقد يطلق النذير على كل ما فيه إنذار وتخويف من الحوادث الكونية كقوله تعالى ﴿ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ ﴾[النجم: 56]، وقوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [القمر: 22]، وقوله: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ ﴾ [القمر:19].

ويستخلص من معنى هذه الجملة أن القرآن أنزل للإنذار، وتشهد لذلك آيات قرآنية كثيرة، أصرحها في المراد قوله تعالى:﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾[الأنعام: 19]. وقوله: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾[الأنعام: 92] ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ ﴾ [مريم: 97] وقوله:﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ ﴾[يس: 6]، وقال تعالى:﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا ﴾[يس: 70].وقوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾[الشورى: 7]، قال تعالى:﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [إبراهيم: 52]. هو نتيجة لما قبله لأن شأن الإنذار أنه يدعو إلى التأمل وإعمال الفكر، والتأمل يستتبع الفهم، أي وليعلموا، بعد إنذار القرآن إياهم عواقب الجهل بالله والشرك به وبعد تأملهم وتدبرهم في دلائل القرآن حججه، علما يقينا ما لم يكونوا يعلمونه، أو كانوا يعلمونه علما مشوبا

[1] – أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ)،المفردات في غريب القرآن تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – 1412 هـ،ج1،ص125.

بالشكوك والأوهام، وهو أن الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما، وسخّر الشمس والقمر دائبين، وسخّر الليل والنهار، إله واحد لا شريك له في ذاته وصفاته وأفعاله، ولا يشاركه مخلوق في شيء من الخلق والتدبير.

ولا شك أن أول ما جاء به القرآن ووضحّه وأعاد القول فيه وأبدا وأقام عليه الأدلة التفصيلية وأحال عباده فيه على عقولهم ووجدانياتهم هو التوحيد [1].

وتقديم البشارة على النذارة أو العكس يكون حسب الموقف نفسه زمانا ومكانا وموضوعا وحالة، فالغالب الأهم أن تكون البشارة مقدمة على النذارة من باب تقديم الرحمة على الغضب ومن باب ما جبلت عليه النفوس من حب ما يفرح وييسر وكراهية ما فيه تخويف وإنذار ومق الأمثلة الموضحة لذلك ما يلي:

قال الله تعالى «**يأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا**» الأحزاب 45 وبهذا قدم الله تعالى البشارة على النذارة، وإن الله تعالى قدّم التبشير على الإنذار، تعميما للمؤمنين المبشرين وإشعارا بأن الأصل في رسالته صلى الله عليه وسلم التبشير فقد أرسله الله تعالى رحمة للعالمين[2] .

ويقول ابن عاشور رحمه الله تعالى في تفسيره عند هذه الآية "قدمت البشارة على النذارة لأن النبي صلى الله عليه وسلّم غلب عليه التبشير لأنه رحمة للعالمين ولكثرته عدد المؤمنين في أمته" [3].

وجاء في قول الله تعالى ﴿ **إِنْ أَنَاْ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴿١٨٨﴾ ﴾[الأعراف: 188]، وفي هذه الآية تقديم النذارة على البشارة وحول ذلك يقول ابن عاشور رحمه الله تعالى في تفسيره "وإنما قدم وصف النذير على وصف البشير هنا، لأن المقام خطاب لكن بين المشركين، فالنذارة أعلق لهم من البشارة" [4]

التوفيق بين الآراء والتفاسير:

[1] – محمّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي ،آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي،الآثار ج1 ،ص401.

[2] . عبدالرحمان بن سعيد الحازمي، تقديم البشارة على النذارة في القرآن الكريم ومضامينهاالتربوية، 2019/09/29م الألوكة الشرعية ،2021/07/11،الساعة11:15، https://www.alukah.net/sharia/0/136446/ .

[3] – التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ج 22 ،ص 53.

[4] – المرجع نفسه ،ج 9،ص 209.

من خلال ما تقدم بأن على المربّي سواء كان أبا أو معلما أو داعيا أو مصلحا، أن ينظر في حالة من يربيهم ويعلمهم ويرشدهم ويوجههم، فإن كانوا مفرطين وبعيدين عن الله تعالى يكون في حقهم الإنذار والترهيب أفضل، وإن كانوا ممن يغلب عليهم شدّة الخوف من الله وممن ابتلوا باليأس والقنوط فيكون في حقهم البشارة والترغيب أفضل.

التزكية والتعليم:

وردت التزكية مقارنة بالتعليم في أربع آيات من الذكر الحكيم، في واحدة منها تقدم لفظ التعليم على التزكية وهي قوله تعالى:﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩ ﴾[البقرة: 129]. وتقدمت التزكية على التعليم في البواقي وهي قوله تعالى:﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١ ﴾[البقرة:151]. وقوله:﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤ ﴾ [آل عمران: 164] وقوله سبحانه ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢ ﴾ [الجمعة:2].

وقد جاء في الآثار عن الإبراهيمي: قوله تعالى في وظيفة الرسول "وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ " فقدّم التزكية التي هي التربية على تعليم الكتابة والعلم، وهذا النوع من التعليم الكلّي يجب أن تقوم به جماعات من خطباء المساجد ومن الوعّاظ، ومن حملة الأقلام العربية المسلمة، فيتواطؤوا جميعا على نغمة واحدةوهي أن الإسلام عرّب جميع معتنقيه بالإنتساب إليه، وأن كل من تكلم العربية فهو عربي، وأن العربي لا يكون عربيّا حتى يكون فيه كل ما أثر عن العرب من شمائل وأخلاق [1].

ويكمن توجيه التقديم والتأخير بما يلي:

[1] – محمّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي ،آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي،ج5 ،ص266.

1-إن تعليم الكتاب والحكمة ناشئ عن تطهير الإنسان نفسه، بإتباع النبي صلى الله عليه وسلّم فيعلمه ذلك ويفهمه ما انطوى عليه كتاب الله تعالى وما اقتضته الحكمة الإلهية كما ذكر أبو حيّان في تفسيره، وهذا المنحى يشهد له قول قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: 282].

2- إن التزكية قدّمت تارة على التعليم وأخّرت تارة أخرى لنعلم أنّها ينبغي تجددها فهي قبل التعليم واجبة وهي بعده لا بدّ منها أو هنا ما يقتضيه العطف بالواو .[1]

فالآية الأولى من سورة البقرة وهي قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩ ﴾ [البقرة: 129] حكاية عن ابراهيم عليه السلام قال ابن عاشور في تفسيره معلقا عن هذه الآية: وقد جاء ترتيب هذه الجمل في الذكر على حسب ترتيب وجودها لأن أول تبليغ الرسالة تلاوة القرآن ثم يكون تعليم معانيه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ١٩ ﴾ [القيامة: 18 - 19] ثم العلم تحصل به التزكية وهي في العمل بإرشاد القرآن. [2]

والآية الثانية من سورة الجمعة وهي قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢ ﴾ [الجمعة: 2].

وقد علّق عليها ابن عاشور أيضا قائلا وابتدئ بالتلاوة لأن أول تبليغ الدعوة بإبلاغ الوحي وثنّى بالتزكية لأن ابتداء الدعوة بالتطهير من الرجس المعنوي وهو الشرك وما يتعلق بع من مساوئ الأعمال والطباع وعقّب بذكر تعليمهم الكتاب لأن الكتاب بعد إبلاغه إليهم تبين لهم مقاصده ومعانيه. [3]

ومما يمكن التوصل إليه بأن التزكية والتعليم وصفان أساسيان في المربي والمعلم فهما مؤهلان اثنان أساسيان ضروريان أن يتكاملا في المعلم المربي لإعانته على توصيل بلاغ القرآن وعلى التأثير التربوي

[1] – البحر المحيط ،أبوحيان ج2،ص47.

[2] – الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ج ،ص .

[3] –التحرير والتنوير،بن عاشور

فكان الرسول صلى الله عليه وسلّم معلما ومربّيا لصحابته ولهذه الأمة مواصفاته أنه يتلو عليهم آيات ربهم ويزكيهم ويعلمهم الكتاب ويعلمهم الحكمة وهذا النوع من التعليم الكلي كما ذكر عن الإبراهيمي أن تقوم به جماعات من خطباء المساجد ومن الوعّاظ ومن حملة الأقلام العريقة المسلمة ... إشارة منه إلى منهاج القرآن في ما ينبغي تعليمه للناس بتحصيل العلم النافع فيجب صرف أوقاتنا فيما يعمّ به النفع ويصحّ به التقرب إلى الله عز وجل.

2 – أسلوب الإفراد والجمع.

الحزب والأحزاب:

عند توعية الأحزاب الجزائرية بواجب الوحدة، ومغبّة الافتراق يمهّد لذلك بالقرآن، فيعرّض بالفرقة قائلا: ما ذكر القرآن الأحزاب بلفظ الجمع إلا في مقام الخلاف والهزيمة قال تعالى

﴿ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡ ﴾[مريم: 37] .[1] فالفاء في قوله تعالى " فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ " عاطفة على ما قبلها في قوله تعالى ﴿ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٌ ٣٦ ﴾[مريم: 36] وهو عطف عملهم واعتقادهم على الاعتقاد المستقيم الذي لا ريب فيه. [2]

و "من" تدل على أن اختلاف الأحزاب صادر عنهم هم، ومن بينهم، فإن التناحر بين لأهواء والأوهام الضالة هو الذي صدر عنه الاختلاف من بينهم ومنِ مضطربهم.[3]

ويذكر نجل الابراهيمي في الآثار بقوله: إذا كان من خصائص الإستعمار أنه يمحق المقومات ويميتها، ثم يكون من خصائص أغلب الأحزاب أنها تهملها ولا تلتفت إليها فهل يلام العقلاء إذا حكموا بأن هذه الأحزاب شر على الشرق من الإستعمار، لأن الإستعمار يأتيه من حيث يحذر، والحذِر دائما يقظ، أما هذه الأحزاب فإنها تأتيه من حيث يأمن، والآمن أبدا نائم، فإذا انظم إلى هذا الداء المستشري خلاف الأحزاب ومنازعاتها، كانت النتيجة الطبيعية ما نرى وما نسمع، وقد أصبح هذا

[1] – محمّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي ،آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي،ج3 ،ص 66.

[2] – تفسير القرآن العظيم ، ج5، ص 231– 232 .

[3] – محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: 1394هـ) ، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي،ج9،ص4641 ،ينظر الطاهر بن عاشور ،التحرير والتنوير ج16، ص58.

الشرق في تعدد أحزابه السياسية كعهده في الخلافة العباسية يوم كان كل خلاف جدلي في لفظه يسفر عن فرقة أو فرق، وكل مجلس مناطرة بين فريقين ينفضّ عن ثالث ورابع ونراهم يقولون: إن كثرة الأحزاب في أمة عنوان يقظتها وانتباهها وضمان وصولها إلى حقها، ولكننا لم ندمن تعدد الأحزاب إلا نقصا في القوة ونقصا للوحدة، وتنفيسا على الخصم واشتغالا من لعظهم ببعضهم، وتعالت كلمة القرآن، فإنه لا يكاد يذكر الأحزاب في مقام الجمع إلا بلفظ الجمع أو الهزيمة،﴿ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡ ﴾ ،﴿ جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿١١﴾ ﴾، ولا يكاد لا يذكر لفظ الحزب بلفظ المفرد إلا في مقام الخير والفلاح قَالَ تَعَالَى:﴿ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[المجادلة: 22].وإن حزب الله في الأمة الجزائرية هو جمعية العلماء وإنها لمفلحة لا محالة [1].

إن الحزب الوحيد الذي يجوز الانتماء إليه هو حزب الله بينما لا يجوز تعدد الأحزاب لأنه يؤدي إلى الضلال حتما.

كما أن لفظ " الحزب " ليس جامدا في النص القرآني بل يتباين تباينا حسب سياقه في النص، حزب الله، حزب الشيطان.

المال والأموال:

قال تعالى :﴿ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الكهف: 46].

جاء في تفسير أبي السعود محمد العماد في إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم في شرح هذه الآية قوله: هو بيان لشأن ما كانوا يفتخرون به من محسنات الحياة الدنيا كما افتخر الأخ الكافر بما افتخر به على أخيه بما أجراه الله على لسانه بقوله تعالى " أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا " وتقديم المال على البنين مع كونهم أعز منه عند أكثر الناس لعراقته فيما به من الزينة والإمداد وغير ذلك. وعمومه بالنسبة إلى الإفراد والأوقات فإنه زينة وممد لكل أحد من الآباء والبنين في كل وقت

[1] – محمّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي ،آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي،ج 3، ،ص 66.

وحين، ولأن المال مناط لبقاء النفس والبنون لبقية النوع، ولأن الحاجة إليه أمس من الحاجة إليهم ولأنه أقدم منهم في الوجود. [1]

وقال الشعراوي رحمه الله: في هذه الآية الكريمة جاء لفظ " المال " مفردا لدلالاته على معنى الخصوص لأن المال لا يكون زينة إلا عند الخاصة من الناس ممن يزيد على حاجتهم الأساسية، أما غالبيتهم فهم إما فقراء معدمون وإما متوسطوا الدخل، فلا يصل المال عندهم إلى درجة الزينة، فهو بالنسبة لهم كالماء القليل في الصحراء عند السفر. [2]

وفي سورة الأنفال قال تعالى " إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ".

قال محمد الطاهر ابن عاشور: أي إنهم ينفقون أموالهم وهي أعز الأشياء عليهم للصدّ عن الإسلام، وأتى بصيغة المضارع في (ينفقون) للإشارة إلى أن ذلك رأيهم وأن الإنفاق مستمر لإعداد العدد لغزو المسلمين، فإنفاقهم حصل في الماضي ويحصل في الحال والإستقبال.[3]

فالتعبير في الآية بلفظ الجمع في" أموالهم " للدلالة على كثرة إنفاقهم لمحاربة الإسلام ومجابهته.

وقال تعالى في سورة التوبة " انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ".

قال أبو حيان: لما توعد الله من لا ينفر مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وضرب له من المثل ما ضرب، أتبعه بهذا الأمر والمعنى في قوله: "وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم " وذكر بأموالكم، وذلك وصف لأكمل ما يكون الجهاد وأنفعه، فحضّ على كمال الأوصاف وقدمت الأموال إذ هي أول مصرف وقت التجهيز .[4]

[1] – أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ) ،تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ،دار إحياء التراث العربي – بيروت ،ج4،ص 264.

[2] – محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ)، تفسير الشعراوي – الخواطر، مطابع أخبار اليوم1997 م ، ج4،ص 2170.

[3] – الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير،ج9،ص 340.

[4] – أبو حيان ، البحر المحيط ج5،ص46.

وقال تعالى " ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم "، قال ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن أي مع أموالكم [1]، وقال ابن الزجاج أي مضمونة إلى أموالكم .[2]

جاء التعبير القرآني بلفظ (الأموال) بصيغة الجمع للدلالة على العموم ليشمل تسليمهم كل أموال اليتامى إليهم عند بلوغ سن الرشد من أوليائهم وأوصيائهم من دون تحايل أو طمع في أكلها بالباطل.

أما الإبراهيمي فيذكر المال والأموال في المعارض الفطرية الثابتة والسنن النفسية الراسخة، مثل {أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ}، {وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ}، {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}، من آيات كثيرة كلها تدخل في باب تقرير السنن الكونية وآيات الله في الأنفس والآفاق.

وانظر- أعزك الله- لو قال قائل في غير القرآن: الورق والبنون زينة الحياة الدنيا، أكان كلامه يعدّ إلّا من أسخف السخف؟ أو قال: إنما ورقكم وأولادكم فتنة، أكان هذا الكلام يحسب إلّا من حكمة الزط في غرائز البط؟ أو قال: جاهدوا في سبيل الله بورقكم وأنفسكم، أكان ينظم إلّا في عداد القَعَدة المثبطين عن الجهاد؟ ومن بلاغة القرآن المعجزة أن يستعمل المال في مقام والأموال في مقام أعلى منه كالجهاد، لأنّ الجمع فيه قصد الشمول من المال الذي هو اسم جنس، واسم الجنس شامل كاسم الجمع ولكن الجمع أشمل منهما، ولما كان الجهاد يحتاج إلى النبال والقسي، والحبال والعصيّ، والرحال والرواحل، والأقتاب والأحلاس، والوص، والزاد والعلوفة، وكلها متمولات، حَسُنَ في قانون البلاغة وأسلوب الترغيب أن يعبر في آيات الجهاد بالأموال.[3]

[1] - أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ) ،تأويل مشكل القرآن ،تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ج1 ، ص 300.

[2] - علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن نور الدين جامع العلوم الأَصْفهاني الباقولي (المتوفى: نحو 543هـ) إعراب القرآن المنسوب للزجاج، تحقيق: إبراهيم الإبياري ، دارالكتاب المصري - القاهرة ودارالكتب اللبنانية - بيروت - القاهرة / بيروت، ط4، 1420هـ ، ج3 ، ص 806.

[3] - محمّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي ،آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي، ج4، ص 388.

المبحث الثالث

التفسير البياني لسورتي الفلق والناس .

تمهيد .

المطلب الأول : التفسير البياني لسورة الفلق .

المطلب الثاني: التفسير البياني لسورة الناس .

تمهيد:

يعرّف التفسير بأنه : عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ فَهْمُ كِتَابِ اللَّهِ الْمُنَزَّلِ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيَانُ مَعَانِيهِ وَاسْتِخْرَاجُ أَحْكَامِهِ وَحِكَمِهِ.[1]

ويعرِّف الدكتور فاضل السامرائي في كتابه التفسير البياني بقوله : هو التفسير الذي يبين أسرار التركيب في التعبير القرآني، فهو جزء من التفسير العام تنصب فيه العناية على بيان أسرار التعبير من الناحية الفنية كالتقديم والتأخير والذكر والحذف واختيار لفظة على أخرى وما إلى ذلك مما يتعلق بأحوال التعبير .[2]

ولقد تطرق الشيخ البشير الإبراهيمي إلى هذا النوع من التفسير البياني من خلال تفسيره لسورتي الفلق والناس كما جاء في الآثار، مع العلم أن البشير الإبراهيمي رحمه الله نقل هذا التفسير عن شيخه ابن باديس ،ونحن بدورنا في دراستنا تعاملنا مع المدونة .

[1]– أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ) البرهان في علوم القرآن دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه (ثم صوَّرته دار المعرفة، بيروت، لبنان – وبنفس ترقيم الصفحات) ط: 1، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم 1376 هـ- 1957 م) ج1، ص13.

[2] – الدكتور فاضل السامرائي (ولد 1933م) على طريق التفسير جامعة الشارقة 2002 ،ج 2، ص 07.

المطلب الأول : التفسير البياني لسورة الفلق .

جاء في آثار الإبراهيمي قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ ﴾[الفلق: 1]لأمر المفرد للنبي- عليه السلام-، ومن حسن الأدب في مقدرات القرآن أن تقدر في مثل هذا الأمر أيّها الرسول أو أيّها النبي، لأنهما الوصفان اللذان نطق بهما القرآن في نداء النبي- عليه السلام-، وأن لا تقدر يا محمد كما هو جار على الألسنة وفي التصانيف، فإن القرآن لم يخاطبه باسمه.

والأمر لنبيّنا أمر لنا لأننا المقصودون بالتكليف، ولا دليل على الخصوصية، فهو في قوّة قل أنت وقل لأمتك يقولون.

وأعوذ: أستجير وألتجئ، ويتعدى هو وجميع تصاريفه بالباء كأستجير، والعوذ والعياذ مصدران منه كالصوم والصيام، وفي القرآن مما جاء على المعنى اللغوي {يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ} ومن كلام العرب: قد استعذت بمعاذ.[1]

وأعوذ بمعنى ألوذ وألتجئ وأعتصم أمر ربنا سيدنا محمد أن يقول ذلك فقال له : قل أعوذ وقد تقول : ولماذا أمرة أن يقول ذلك ولم يقل : أعوذ من دون قل ؟ إن الله يريد من الانسان أن يعلن صراحة عن ضعفه وحاجته إلى ربه ليعينه ويخلصه مما يحذر .[2]

والرب: الخالق المكوّن المربي، ومواقع استعمال هذه الكلمة في القرآن هي التي تكشف كل الكشف عن معناها الكامل.

والفلق: الفجر المفلوق المفري، ومن لطائف هذه اللغة الشريفة أن: الفتح والفلح والفجر والفلق والفرق والفتق والفري والفأ والفقأ والفقه، كلها ذات دلالات واحدة، وتخصيصها بمتعلقاتها باب من فقه اللغة عظيم.

ومما وصف به ربنا نفسه في القرآن: ﴿ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ ﴾[الأنعام: 96] و﴿ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾[الأنعام: 95]، فهما من أسمائه تعالى. وتخصيص الفلق بالذكر له أسباب ودوافع منها :

[1] – محمّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي ،آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي، ج 1 ص 348.

[2] – الدكتور فاضل السامرائي ،على طريق التفسير البياني ص 25

ما جاء في تفسير البيضاوي : وتخصيصه (يعني الفلق) لما فيه من تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النور ومحاكاة فاتحة يوم القيامة، والإشعار بأن من قدر أن يزيل به ظلمة الليل عن هذا العالم قدر أن يزيل عن العائذ به ما يخافه.[1]

وفي التفسير القيم فإن الفلق: هو الصبح الذي هو مبدأ ظهور النور، وهو الذي يطرد جيش الظلام، وعسكر المفسدين في الليل. فيأوي كل خبيث وكل مفسد وكل لص وكل قاطع طريق إلى سرب أو كنّ أو غار، وتأوي الهوام إلى أجحرتها، والشياطين التي انتشرت بالليل إلى أمكنتها ومحالها.

واختيار لفظ (رب) وإضافته إلى (الفلق) أنسب شيء ههنا، فالرب معناه المالك والمربي والسيّد والقيّم والمعلّم والمرشد فالاستعاذة برب المخلوقات ومالكها والقائم على أمرها من شرور ما يصدر عنها أنسب شيء في إعاذة المستعيذ به فهو وحده القادر على كفّها وكفِّ شرورها فإنه يأمرها فتطيع أمره.[2]

المناسبة الدقيقة بين بين رب والفلق:

هناك مناسبة دقيقة بين رب والفلق، فربّ الناس ومربيهم وسائقهم إلى ما يكمل وجودهم هو الذي تنكشف لعلمه سرائرهم، والفلق نور يكشف للعيان كل المبصرات فتُرَى على حقائقها ومقاديرها، لا يزيغ البصر في شيء منها ولا يطغى، والإنسان مهما يكن عالما فقد تخفى عليه حقائق المعقولات فيزيغ فكره ويطغى.[3]

مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ: أي من شر الذي خلقه من الثقلين وغيرهم كائنا ما كان من ذوات الطباع والاختيار، والظاهر عموم الشّرّ للمضار البدنية وغيرها.[4]

وفي التفسير الكبير : قال : **قَالَ تَعَالَى:﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾[الفلق: 2] فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ وُجُوهٌ:**

[1] – ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ) أنوار التنزيل وأسرار التأويل محمد عبد الرحمن المرعشلي دار إحياء التراث العربي – بيروت ط : 1- 1418 هـ، ج 5 ص 348.

6- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) تفسير القرآن الكريم (ابن القيم) تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان دار ومكتبة الهلال – بيروت ط : 1 - 1410 هـ ج 1 ص 625.

[3] – محمّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي ، آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي ج 1 ص 349.

[4] – الألوسي ، روح المعاني ج 15 ص 519.

أَحَدُهَا: قَالَ عَطَاءٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ إِبْلِيسَ خَاصَّةً لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَخْلُقْ خَلْقًا هُوَ شَرٌّ مِنْهُ وَلِأَنَّ السُّورَةَ إِنَّمَا نَزَلَتْ فِي الِاسْتِعَاذَةِ مِنَ السِّحْرِ، وَذَلِكَ إِنَّمَا يَتِمُّ بِإِبْلِيسَ وَبِأَعْوَانِهِ وَجُنُودِهِ .

وَثَانِيهَا: يُرِيدُ جَهَنَّمَ كَأَنَّهُ يَقُولُ: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ جَهَنَّمَ وَمِنْ شَدَائِدِ مَا خَلَقَ فِيهَا .

وَثَالِثُهَا: مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ يُرِيدُ مِنْ شَرِّ أَصْنَافِ الْحَيَوَانَاتِ الْمُؤْذِيَاتِ كَالسِّبَاعِ وَالْهَوَامِّ وَغَيْرِهِمَا، وَيَجُوزُ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ مَنْ يُؤْذِينِي مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَيْضًا وَوَصَفَ أَفْعَالَهَا بِأَنَّهَا شَرٌّ، وَإِنَّمَا جَازَ إِدْخَالُ الْجِنِّ وَالْإِنْسَانِ تَحْتَ لَفْظَةِ (مَا)، لِأَنَّ الْغَلَبَةَ لَمَّا حَصَلَتْ فِي جَانِبِ غَيْرِ الْعُقَلَاءِ حَسُنَ اسْتِعْمَالُ لَفْظَةِ (مَا) فِيهِ، لِأَنَّ الْعِبْرَةَ بِالْأَغْلَبِ أَيْضًا وَيَدْخُلُ فِيهِ شُرُورُ.[1]

من شر غاسق إذا وقب: يقول الإبراهيمي رحمه الله – نقل عنه في الآثار – : **والغاسق:** الليل المظلم والمراد هنا المصيبة تطرق ليلًا وعلى غرّة. **ووقب:** دخل في الوقب وهو النقرة في الشيء.[2]

والغاسق: الليل إذا اعتكر ظلامه من قوله تعالى: إِلى غَسَقِ اللَّيْلِ ... ووقوبه: دخول ظلامه في كل شيء. ويقال: وقبت الشمس إذا غابت. وفي الحديث: لما رأى الشمس قد وقبت قال: هذا حين حلّها، يعنى صلاة المغرب، وقيل: هو القمر إذا امتلأ ... والتعوّذ من شّر الليل لأن انبثاثه فيه أكثر، والتحرّز منه أصعب.[3]

وفي (البحر المحيط) : وَقَبَ اللَّيْلُ: أَظْلَمَ وَالشَّمْسُ: غَابَتْ، وَالْعَذَابُ: حَلَّ... وَالْغَاسِقُ: اللَّيْلُ، وَوَقَبَ: أَظْلَمَ وَدَخَلَ عَلَى النَّاسِ ... وَالْغَاسِقُ: الْبَارِدُ، اسْتُعِيذَ مِنْ شَرِّهِ لِأَنَّهُ فِيهِ تَنْبَثُّ الشَّيَاطِينُ وَالْهَوَامُّ وَالْحَشَرَاتُ وَأَهْلُ الْفَتْكِ... وَقِيلَ: الْحَيَّةُ إِذَا لَدَغَتْ، وَالْغَاسِقُ سُمُّ نَابِهَا لِأَنَّهُ يَسِيلُ مِنْهُ.[4]

---

[1] – أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1420 هـ،ج32،ص 372.

[2] – محمّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي ،آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي ج 1 ص 350.

[3] – الزمخشري ، الكشاف ،ج 4 ص 821

[4] – أبو حيان ، البحر المحيط ،ج8، ص 574– 576.

من شرّ النفّاثات في العقد: ورد في الآثار والنفاثات: السواحر ينفثن الريق، واللفظ جمع نفاثة كثيرة النفث. والعقد: جمع عقدة بيان لعادة السواحر المعروفة من عقد الخيوط ونفث الريق عليها.[1]

وجاء في روح المعاني : (ومن شر النفاثات في العقد) أي ومن شر النفوس السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها، فالنفاثات صفة للنفوس واعتبر ذلك لمكان التأنيث مع أن تأثير السحر إنما هو من جهة النفوس الخبيثة والأرواح الشريرة وسلطانه منها... وتعريفها إما للعهد أو للإيذان بشمول الشرّ لجميع أفرادهن وتمحضهن فيه.[2]

وهو قد جاء بالصفة ولم يأت بالموصوف فلم يقل النساء النفاثات أو النفوس أو غير ذلك لإرادة العموم وعدم تقييد ذلك بقيد سواء صدر عن النساء أم عن غيرهن، وجاء بجمع الإناث ولم يأت بجمع الذكور فلم يقل النفاثين وذلك لإرادة العموم أيضا، فإن النفاثات تشمل الإناث وتشمل الأرواح والنفوس والجماعات اللاتي تفعل هذا الفعل وهي تعم نفوس الذكور والإناث وغيرهم ممن يفعل هذا الفعل ولو قال النفاثين لم يشمل إلا الذكور ولم يعم شرور غيرهم.[3]

والنفاثات: صفة إما للنفوس فتشمل الرجال والنساء، وتكون الاستعاذة من شر كل من يتعاطى هذا الفعل رجلًا كان أو امرأة، وإما للنساء وخُصِّصن بذلك لأن وقوع هذا الفعل منهن أكثر، وهُنَّ به أشهر.[4]

ومن شر حاسد إذا حسد : الحاسد الذي قامت به صفة الحسد، وهو الذي يحب أن تسلب النعم من غيره... فهو لا يحب الخير لأحد ويتمنى أن لا يبقى على وجه الأرض منعم عليه... والحسد شر تلازمه شرور، العُجب والاحتقار والكِبْر... ولا يكون شرًا على غيره إلا إذا ظهرت آثاره بأن كان

[1] – محمّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي ج 1 ص 350.

[2] – الألوسي ، روح المعاني ،ج 15 ص 520 – 521.

[3] – الدكتور فاضل السامرائي ،على طريق التفسير البياني ج1 ص 37.

[4] – محمّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي ، آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي ج 1 ص 351.

قادرًا على الإضرار أو ساعيًا فيه ولهذا قال تعالى: إذا حسد. والمتمني للشيء لا يمنعه من إتيانه إلا العجز.[1]

وتأمل تقييده سبحانه (شر الحاسد) بقوله «إذا حسد» لأن الرجل قد يكون عنده حسد، ولكن يخفيه، ولا يترتب عليه أذى بوجه ما، لا بقلبه، ولا بلسانه، ولا بيده.[2]

وجاء في روح المعاني في قوله (ومن شر حاسد إذا حسد) أي: إذا أظهر ما في نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه بترتيب مقدمات الشر ومبادئ الإضرار بالمحسود قولا وفعلا.[3]

وقال ومن شر حاسد ولم يقل من شر حسود لأن كلمة حاسد أعم لأنه يشمل الحسود والحاسد أي غير المبالغ والمبالغ فإن الحسود إذا حسد كان حاسدا في حينه، وقد تقول : ولمَ لم يقل إذن (ومن شر النفاثات في العقد) فيأت باسم الفاعل ليشمل المبالغ وغيره كما فعل في الحاسد ؟ فنقول إنه لما جمع (العقد) جمع كثرة فقال (العقد) جاء بصيغة المبالغة لتناسب الكثرة في صيغة المبالغة كثرة العقد، ونظير هذا قوله (عالم الغيب) و(علاَّم الغيوب) فإنه إذا أفرد الغيب جاء باسم الفاعل فقال (عالم الغيب) وإذا جمع الغيب جاء بصيغة المبالغة فقال (علاَّم الغيوب)، فاتضح أن قوله : (النفاثات في العقد) أنسب وذلك أنه لما كثرت العقد كثر النفث .[4]

ويرى الشيخ الإبراهيمي أن سرَّ البيان في سورة الفلق يتمثل في براعة الترتيب والتناسب : الغاسق إذا وقب ، والنفاثات في العقد، والحاسد أذا حسد والجامع بين هذه الثلاثة هو اشتراكها في الخفاء، فإن الغاسق ظلام تخفى فيه الشرور والنفاثات مبني أمرهنّ على الإخفاء تخييلا وإيهاما، والحسد داء دفين . فالثلاثة كما ترون – يقول الابراهيمي – شرّها خفي، وكل شر يخفى عمله أو يخفى أثره يجل خطبه، ويعظم خطره، فيعسر التوقي منه والإحتياط له، لأنك تتقي ما يظهر ويستعلن، لا ما يخفى ويستتر، لا جرم كانت الثلاثة جديرة بالتخصيص .

[1] – المرجع نفسه ج 1 ص 354-355.

[2] – محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)ج1 ص 645.

[3] – الألوسي ، روح المعاني ج 15 ص 522.

[4] – الدكتور فاضل السامرائي ،على طريق التفسير البياني ج1 ص 38

أما نكتة الترتيب فإن الليل ليس شرا في نفسة ولا الشر من عمله، وإنما هو ظرف للشرور، والعلاقة بالشيء وظرفه مكينة في النفوس، قوية الإعتبار، مسببة للحكم على أحدهما بحكم الآخر . بخلاف النفاثات والحساد فإن الشر من عملهما ومن وصفهما، ولانطباعهما عليه صار ذاتيًّا لهما... ومن جهة أخرى نجد التناسب ظاهرًا بين الثلاثة: الغاسق والنفاثات والحاسد فإن الجميع ظلام، ظلام الزمن وظلام السحر وظلام الحسد.[1]

ومن التأملات البلاغية التي ذكرها العلماء في هذه السورة العظيمة :

أنّ أمر الإستعاذة واختصاص الله بهذا مما رد به أئمة أهل السنة على الجهمية فالنبي كان يستعيذ بكلمات الله، ولا يستعاذ بمخلوق في دفع شر عامة المخلوقات وإنما يستعاذ بالله فدل على أن كلمات غير مخلوقة وهذه الكلمة من أئمة أهل السنة فيها الرد على الجهمية والقبورية معاً وعوداً إلى اللفتات البلاغية نجد آخر حرف في كل آية من هذه السورة من حروف القلقلة (قطب جد).

وهذه الأحرف تمتاز بالقوة بالنطق عند تسكينها وهذا مناسب لسياق الآية وبيان قدرة الله وغلبته على كيد السحرة والحسدة كما قال تعالى: (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه)ثم هي مناسبة لتحقيق التناظرية الحرفية مع سورة الناس التي تختم جميع آياتها بحرف (السين) وهو من أحرف الهمس وأحرف الهمس تقابل أحرف القلقلة وهذا تحقيق عجيب للتناظرية في هاتين السورتين اللتين في العادة تتليان معاً وقد نزلتا معاً.[2]

وهناك أمور أخرى نجدها في السورة نذكر منها:

أنه كرّر (من شر) في كل معطوف فقال (من شر ما خلق) (ومن شر غاسق) (ومن شر النفاثات) (ومن شر حاسد) ولم يقل مثلا (من شر ما خلق وشر النفاثات وشر حاسد) ولا (ومن شر ما خلق وغاسق إذا وقب والنفاثات وحاسد) وذلك للدلالة عل أن كلا من المذكورين تنبغي الإستعاذة منه

[1]–محمّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي ، آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي، ج 1 ص 350.

2– عبد الله بن فهد الغفيلي ، نظرة بلاغية في سورة الفلق . موضوعٍ في شكل مقال، حملته بصيغة(pdf) ،يوم 09-09-2021،على الساعة، 18:20 ،من موقع: " الموسوعة الشاملة " على الشبكة العنكبوتية:
http://www.orbinaanet.com/vb/archive/index.php/t-15961.html

على وجه الاستقلال لعظيم شره بخلاف ما لو قال (ومن شر ما خلق وغاسق والنفاثات) فإن هذا التعبير يحتمل الإستعاذة من شرها إذا اجتمعت لا إذا انفرد كل واحد منها، فقد يكون الشر من اجتماع شيئين ولا شر منه أذا كان وحده كما تقول : لا تحمل البنزين والنار .

ولم يقل (ومن شر ما خلق وشر غاسق وشر النفاثات) لأن ذكر (من) في كل واحد أدل على استقلال كل صنف بالإستعاذة وآكد فإن التكرار يفيد التوكيد .

وقد تقول ولم لم يكن لفظ الإستعاذة من كل مستعاذ منه فتقول : (قل أعوذ برب الفلق وأعوذ من شر غاسق إذا وقب وأعوذ من شر النفاثات ...) كما كررها في موطن آخر من القرآن الكريم فقال :﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾ المؤمنون: [97 – 98]

يقول السامرائي في هذا : إن الاستعاذة آكد من ذكر متعلقها وأقوى، وهي في سورة المؤمنون أقوى منها في سورة الفلق فانبغى تكرارها فيها بخلاف سورة الفلق.[1]

إن سورة الفلق فيها من الإعجاز البياني الكثير، فكلماتها إما معرفة أو نكرة ولكل منها تفسير خاص فكلمة الفلق جاءت (معرفة)لأنه عندما ينفلق الليل ليخرج منه النهار هذا المشهد يراه جميع الناس وبالتالي فالكلمة معرفة ،أما كلمة خلق فهي (نكرة)، أي أن مخلوقات الله لا تعد ولا تحصى ولا يعرف الانسان من أي منها يأتيه الشر، أما كلمة غاسق فهي بداية الليل وفيها لايُعد ولا يحصى من الشرور المتوقعة وغير المتوقعة فجاءت نكرة، والنفاثات وهم من يتعاملون بالسحر فهم فئة قليلة محصورة، فليس جميع الناس يعرفون السحر لذا جاءت معرفة، وكلمة حاسد تنطبق على كل من يتمنى زوال نعمة على غيره وليس جميع الحاسدين يحسدون على نفس النعمة، فمنهم من يحسد على المال والآخر على الأولاد وغيره على المنصب أو على الجمال أو الذكاء ...الخ و"حاسد" جاءت نكرة

1- – الدكتور فاضل السامرائي ،على طريق التفسير البياني، ج1،ص 38 – 39.

للأسباب الآنفة الذكر وصدق الله العظيم عندما يقول: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:24] فلنتذكر ولنتعلم، لكي يكون القرآن حجة لنا لا علينا. [1]

1- عبد الله بن فهد الغفيلي، نظرة بلاغية في سورة الفلق . موضوع في شكل مقال)،حملته بصيغة(pdf) ،يوم 12-09-2021،على الساعة، 18:20 ،من موقع: "منتدى الملتقى الإخباري" على الشبكة العنكبوتية:

سورة الناس:

1- الصفة الجامعة بين السورتين:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾[الناس: 1] قد علمنا أن الصفة الجامعة بين هذه السورة وبين التي قبلها (هي المعوذتان)، وعلمنا أنها تسمية نبوية وقد جرت هذه الصفة مجرى الاسم لهما، أما الاسم الخاص بهذه السورة فهو: الناس، كما أن الاسم الخاص بالسورة الأولى: الفَلَق، والمناسبة بين السورتين يرشد إليها اشتراكهما في الوصف وهو التعوذ بهما من الشرور المذكورة فيهما، وفي السورة الأولى الاستعادة من الشر العام ومن ثلاثة أنواع منه ذكرنا الحكمة في تخصيصها بالذكر. وفي هذه السورة الاستعاذة من شر واحد لكنه سبب في شرور كثيرة.[1]

فالسورتان جمعتا الاستعاذة من الشرور كلها الظاهرة والخفية.. ما يدخل تحت التكليف (ما جاء في الناس) ، وما لا يدخل في التكليف (ما جاء في الفلق) .. ما لا يستطيع دفعه (الفلق) وما يستطيع دفعه (الناس) (ما يدخل سجل الحسنات (الفلق) وما يدخل سجل السيئات (الناس). وكما قال عدد من المفسرين والمحققين: سورة الفلق استعاذة بالله من شرور المصائب وسورة الناس استعاذة بالله من شرور المعايب.[2]

وقوله تعالى (قل أعوذ) يوجه الخطاب في الآية الأولى وكما في سائر آيات القرآن إلى المخاطب الأول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم إلينا أمة محمد ، والاستعاذة هنا بمعنى الإلتجاء والتحصن بالله عز وجل.[3]

إذن فكلا السورتين يشتركان في الاستعاذة فسورة الفلق الاستعاذة كانت من ثلاث شرور أما سورة الناس فكانت من شر واحد .

1- محمّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي ،آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي، ج 1 ص 535.

2 - فاضل بن صالح بن مهدي البدري السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل،ج1 ، **ص 444**.

3 - الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي ، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن دار طوق النجاة، بيروت – لبنان،ط1، ج 32 ، ص .471

إن تفرد سورة الناس بالإستعاذة من شر واحد وهو الوسواس الخناس دليل على خطورته وأنه سبب مباشر في شرور كثيرة لذا تفرد بذكره عز وجل في السورة ليلفت الأنظار إليه لأنه سبب للهلاك والخسران في الدنيا والآخرة .

2- بلاغة الترتيب : رب الناس ، ملك الناس ، اله الناس .

أ – رب الناس: هو مربّيهم ومعطيهم في كل مرتبة من مراتب الوجود ما يحتاجون إليه لحفظها، وهاديهم لاستعمال ما منّ به عليهم فيما ينفعهم، قال تعالى:﴿ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾[طه: 50] ، وأصله من رَبَّه يَرُبُّه ربًا إذا قام على إنشائه وتعاهده في جميع أطواره إلى التمام والكمال، ولفظه لفظ المصدر، ولكن معناه معنى اسم الفاعل كالعدل يراد به العادل.[1]

وفي الآية أمر للرسول صلى الله عليه وسلم بالالتجاء الى رب الأكوان ، البر القادر على تحقيق المستحيلات ، الرب الذي يدبر الأمور ، وهو مالك الناس وموجدهم من العدم ، والذي يرعى الناس بعينه التي لا تنام و يربيهم ليخرج أجمل ما فيهم [2]

ب – ملك الناس: هو الذي يملك أمر موتهم وحياتهم ويشرع لهم من الدين ومن الأحكام ما يوافق حياتهم الدنيوية والأخروية.[3]

وأضافهم الى ملكه فهو ملِكهم الحق الذي إليه مفزعهم في الشدائد والنوائب فلا صلاح لهم ولا قيام إلَّا به .[4]

ج – اله الناس: هو الذي يدينون له بالعبادة والعبودية.[5]

1- محمّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي ،آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي، ج 1 ص355.

2 – محمد سيد طنطاوي ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة ط : 1 ج 15 ، ص 548.

3- محمّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي ، المرجع نفسه ،ج 1 ص355.

4 – شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، تفسير سورة الناس ، مؤسسة الرسالة ، الرياض ، ط2، 1414هـ ،ص20.

5- مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي ،المرجع نفسه ،ج 1 ص355.

وهو من يستحق مطلق العبادة والطاعة وخضوع القلب والجوارح. [1]

فإن قلت: مَلِكِ النَّاسِ إِلهِ النَّاسِ ما هما من رب الناس؟ قلت: هما عطف بيان، كقولك: سيرة أبي حفص عمر الفاروق. بين بملك الناس، ثم زيد بيانا بإله الناس، لأنه قد يقال لغيره: رب الناس، كقوله اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وقد يقال: ملك الناس. وأمّا إِلهِ النَّاسِ فخاص لا شركة فيه، فجعل غاية للبيان.[2]

أن الله سبحانه وتعالى استعاذ بثلاث صفات من صفات الله تعالى وهي : الرب والملك والاله من شر واحد وهو : شر الوسواس الخناس في حين استعاذ بصفة واحدة وهي " الرب " في السورة السابقة من شرور متعددة مجملة ومفصلة ذلك أن هذا الشر أخطر على الفرد . وذكر الرازي في تفسيره قوله تعالى : "اله الناس " لِأَنَّ الْإِلَهَ خَاصٌّ بِهِ وَهُوَ سُبْحَانُهُ لَا يُشْرِكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ وَأَيْضًا بَدَأَ بِذِكْرِ الرَّبِّ وَهُوَ اسْمٌ لِمَنْ قَامَ بِتَدْبِيرِهِ وَإِصْلَاحِهِ، وَهُوَ مِنْ أَوَائِلِ نِعَمِهِ إِلَى أَنْ رَبَّاهُ وَأَعْطَاهُ الْعَقْلَ فَحِينَئِذٍ عَرَفَ بِالدَّلِيلِ أَنَّهُ عَبْدٌ مَمْلُوكٌ وَهُوَ مِلْكُهُ، فَثَنَّى بِذِكْرِ الْمُلْكِ، ثُمَّ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ الْعِبَادَةَ لَازِمَةٌ لَهُ وَاجِبَةٌ عَلَيْهِ، وَعَرَفَ أَنَّ مَعْبُودَهُ مُسْتَحِقٌّ لِتِلْكَ الْعِبَادَةِ عَرَفَ أَنَّهُ إِلَهٌ، فَلِهَذَا خَتَمَ بِهِ، وَأَيْضًا أَوَّلُ مَا يَعْرِفُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ كَوْنُهُ مُطِيعًا لِمَا عِنْدَهُ مِنَ النِّعَمِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَهَذَا هُوَ الرَّبُّ، ثُمَّ لَا يَزَالُ يَتَنَقَّلُ مِنْ مَعْرِفَةِ هَذِهِ الصِّفَاتِ إِلَى مَعْرِفَةِ جَلَالَتِهِ وَاسْتِغْنَائِهِ عَنِ الْخَلْقِ، فَحِينَئِذٍ يَحْصُلُ الْعِلْمُ بِكَوْنِهِ مَلِكًا، لِأَنَّ الْمَلِكَ هُوَ الَّذِي يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ غَيْرُهُ[3]

والمجتمع من تلك الشرور فإن شر الوسواس يعود على الفرد الذي تلقى إليه الوسوسة وعلى الآخرين فيقع تحت طائلة الحساب والعقاب في الدنيا والآخرة .[4]

1 – محمد سيد طنطاوي ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة ص 548.

2 – الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ج4 ص823.

3 –أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ) ، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط : 3 ،1420 هـ ج32 ص376.

4 – الدكتور فاضل السامرائي (ولد 1933م) على طريق التفسير البياني ج1 ص 45.

جاء في البحر المحيط : وَلَمَّا كَانَتْ مَضَرَّةُ الدِّينِ، وَهِيَ آفَةُ الْوَسْوَسَةِ، أعظم من مضرة الدنيا وإن عظمت جاء البناء في الاستعاذة منها بصفات ثلاث : الرب والملك والاله وأن اتحد المطلوب ، وفي الاستعاذة من ثلاث الغاسق والنفاثات والحاسد بصفة واحدة وهي الرب وإن كثر الذي يستعاذ منه.[1]

أن بلاغة الترتيب إنما تظهر جلية عند استعراض أطوار الوجود الإنساني. فالأول: طور التربية والإعداد، وهما من مظاهر الربوبية، والثانى: طور القوّة والتدبير، وهما من مظاهر الملك، والثالث: طور الكمال والقيام بوظائف العبودية، وهو من مظاهر الألوهية.[2]

جاء في روح المعاني : ويندرج في وجوه الاستعاذة المعتادة تنزيلا لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات فإن عادة من ألم به هم أن يرفع أمره لسيده ومربيه كوالديه فإن لم يقدر على رفعه لملكه وسلطانه فإن لم يزل ظلامته شكاه إلى ملك الملوك ومن إليه المشتكى والمفزع، وفي ذلك إشارة إلى عظم الآفة المستعاذ منها.[3]

وجاء الترتيب في سورة الناس على الشكل التالي: رب، ملك، إله. فالإنسان إذا وقع في حاجة يستعين أولاً بخبرته وعلمه أو بمن له خبرة وتجربة ليرشده وليشير عليه بما يفعل وهذا هو شأن الربّ أي المربي فهو المرشد والمعلم والموجه ولذا بدأت الآيات به (رب الناس) . فإذا لم ينجح فيما يريد لجأ إلى السلطة وصاحبها أي الملك (ملك الناس) فإن لم تُجدي السلطة نفعاً التجأ إلى الله تعالى (إله الناس) والترتيب في الآيات في السورة هو على سياق هذا الترتيب وكحاجة الإنسان للتعامل في الحياة. وهو واضح في مراحل حياة الإنسان ومعاشهم، فالأجنة هي البداية ثم يخرج الناس للحياة ليواجهوا المربي الذي يقدم لهم ما يحتاجونه من تربية ورعاية، فإذا كبروا إحتاجوا إلى المجتمع وما ينظم علاقتهم به، ثم يأتي سن التكليف حيث يحاسبه الإله.

1- أبو حيان ،البحر المحيط في التفسير ،ج10 ص 579.

2- محمّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي ،آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي،ج1، ص 355.

3 -شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج 15 ص 525.

والمجتمعات عموما بين الربوبية والملك، فكل مجتمع يحتاج صغاره إلى المربي ثم إلى السلطة، أما الألوهية فتتأخر وقد تخفى على بعض الناس وتحيطها الشكوك والأوهام.. والإلحاد.. وتحتاج إلى تذكير. وقد تدرّجت الآيات من الكثرة إلى القلّة فالربّ هو المرشد الموجّه وقد يكون هناك العديد من المرشدين والمربّين في المجتمع لكن لكل دولة ملك واحد والدنيا فيها ملوك كثر ولكن الإله واحد للكل فانتقل في السياق من الكثرة للقلة من حيث دلالة الكلمة بالعدد (الرب كثير، الملك أقلّ وأما الإله فهو واحد) .[1]

كما تدرج القرآن الكريم في مجموعة الناس من القلة الى الكثرة ، ذلك أن ناس الملك أكثر من ناس المربي ، فإنه قد يكون لجماعة من المربين ملك واحد ، وناس الاله أكثر من ناس الملك فإن ناس الاله هم كل الناس بخلاف ناس الملك [2].

3- الحكمة من تخصيص " الناس " بالذكر وتكراره :

خص الله عز وجل الناس بالذكر لأنهم :

أ – هم هدفه ومرمى وسوسته. ولأنهم هم المأمورون بالاستعاذة منه، ولأن عالم التكليف أشرف، فإليهم يوجّه الخطاب وإليهم يساق التحذير، وهذه الوسوسة نتيجة للعداوة بين أصليهما، فأمر الله بالاستعاذة منها هو تسليح إلهي لبني آدم لتثبيت سنّة التعمير التي هي حكمة الله من وجودهم.

ب – هم الذين ينطبق عليهم ناموس الهداية والضلال. وقد ضلوا بالفعل في ربوبية الله وفي ألوهيته. ضلوا في الربوبية باتخاذ المشرعين ليشرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله، ويصدّوهم عما شرع الله. وضلوا في الألوهية بعبادة غير الله بما لا يعبد به أحد غيره كالدعاء.

ج – أنهم أحوج المربُوبينَ إلى تأييد الله وأحقهم بطلب ذلك منه، وقد أرشدهم إلى ذلك وله الحمد.

واختير لفظ الناس من بين الألفاظ المشاركة له في الدلالة كالبشر والبرية، لأنه يَنُوسُ ويضطرب وينساق، وهي صفات يلزمها التوجه ويسهل التوجيه فلا غنى لصاحبها عن توفيق الله للوجهة الصالحة

1 – فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي ، لمسات بيانية ص 446 – 447.

2 – الدكتور فاضل السامرائي (ولد 1933م) على طريق التفسير البياني ج1 ص 49.

والتسديد فيها ما دام لا يملك لنفسه ذلك، وما دام محاسبًا عليه، وما دامت هناك قوّة مسلطة تنزع به إلى الشر.[1]

4- تكرار لفظ الناس :

ونكتة الإعادة والإظهار للفظ الناس، توضيح المعنى وإلفات النفس إليه وإيقاظ شعورها به، والتسجيل على الناس بأن لهم ربًا هو مالكهم وإلههم.[2]

يقول الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير : ومَلِكِ النَّاسِ عَطْفُ بَيَانٍ مِنْ رَبِّ النَّاسِ وَكَذَلِكَ إِلهِ النَّاسِ فَتَكْرِيرُ لَفْظِ النَّاسِ دُونَ اكْتِفَاءٍ بِضَمِيرِهِ لِأَنَّ عَطْفَ الْبَيَانِ يَقْتَضِي الْإِظْهَارَ لِيَكُونَ الِاسْمُ الْمُبَيِّنُ (بِكَسْرِ الْيَاءِ) مُسْتَقِلًّا بِنَفْسِهِ لِأَنَّ عَطْفَ الْبَيَانِ بِمَنْزِلَةِ عَلَمٍ لِلِاسْمِ الْمُبَيَّنِ (بِالْفَتْحِ) .[3]

ويقول الزمخشري في الكشاف : فإن قلت: فهلا اكتفى بإظهار المضاف إليه الذي هو الناس مرّة واحدة؟ قلت: لأنّ عطف البيان للبيان، فكان مظنة للإظهار دون الإضمار[4].

وتكرير النَّاسِ لما في الإظهار من مزيد البيان، والإشعار بشرف الإنسان[5].

وردت كلمة الناس ثلاث مرات في السورة وكل منها تعني مجموعة من الناس مختلفة عن غيرها نوضحها، فتُطلق على مجموعة قليلة من الناس أو واحد من الناس أو كل الناس.

والربّ هو مُرشد مجموعة من الناس قد تكون قليلة أو كثيرة، أما الملك فناسه أكبر من ناس المربي وأما الإله فهو إله كل الناس وناسه الأكثر حتماً. فلو جاءت الآيات برب الناس وملكهم وإلههم لعاد المعنى كله إلى المجموعة الأولى من الناس (ناس الرّب) دون أن يشمل غيرهم ولما تحدد أي مجموعة من الناس. لذلك لا يغني الضمير هنا، بل لا بد من تكرار المضاف إليه مذكورا صريحا، لأن لكل معنى مختلف.

1- محمّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي ،آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي ج 1 ص356.

2- المرجع نفسه ،ج1، ص 357.

3 – محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 30 ص633.

4 – أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ،الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ج4 ص823.

5 – ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، طبعة: الأولى – 1418 هـ ، ج 5 ص 350.

وكلمة الناس من حيث دلالتها العديدة في السورة تنتقل على عكس كلمة الرب والملك والإله من القلّة إلى الكثرة. فالتدرج في الصفات بدأ من الكثرة إلى القلة، أما في المضاف إليه (الناس) فبالعكس من القلة إلى الكثرة، فناس المربي أقل، وناس الملك أكثر، وناس الإله هم الأكثر.[1]

إن لفظة الناس ممكنة في موضعها فإضافتها لإحدى الصفات الثلاث تعطي معنى مغاير للمعنى الآخر كذلك هو ليس من باب الصدفة إنما هو زيادة للبيان والتوضيح ولفت الانتباه الى السمو بشرف الانسان وإعلاء مكانته عند الله تعالى.

5- الاستعاذة من شر الوسواس الخناس :

أ – الوسواس:

الوسواس هنا صفة الموسوس وإن خالف المعهود في أبنية الصفات، أو هو اسم بمعنى الوسوسة، كالزلزال والزلزلة، وأصل هذه الكلمة دائر على معنى الخفاء، والعرب تسمي حركة الحلي وسواسًا، وهذا المعنى واضح في المراد هنا فإن الموسوس من الجن في نهاية الخفاء هو وعمله، والموسوس من الإنس يتحرى الإخفاء ما استطاع، وبحْكم الحيلة في ذلك ولا يرمي رميته إلّا في الخلوات. وإن الناس ليعرفون عرفانًا ضرورًيا من الفرق بين المصلحين والمفسدين أن الأولين يصدعون بكلمة الحق مجلجلة، ويرسلون صيحته داوية ويعملون أعمالهم في وضح النهار ومحافل الخلق، وأن الآخرين يتهامسون إذا قالوا، ويستترون إذا فعلوا، ويعمدون إلى الغمز والإشارة والتعمية، ولو وجدوا السبيل لكانت لهم لغة غير اللغات، ولكان الزمن كله ظلمات، والأرض كلها مغارات.[2]

والوسوسة: الصوت الخفي. ومنه: وسواس الحلي.[3]

وقد اختلف في الوسواس على هذا فمنهم من ذهب الى أن :

1 – فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي ، لمسات بيانية ج 1 ص 447.

2- محمّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي ج 1 ص357.

3 – أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ج4 ص823

1 – الوسواس اسم بمعنى الوسوسة : وهو ما يوسوس به الشيطان من هو النفس وشهواتها ، فما توسوس به النفس من خطرات وأهواء هو الوسواس ، وعلى هذا تكون الاستعاذة من شرور هذه الوساوس التي تنقمع بذكر الله [1].

2 – الوسواس وصف بمعنى اسم الفاعل : أي الموسوس كالثرثار والقضقاض والتمتام بمعنى المثرثر و المقضقض وهو من أسماء الشيطان أيضا .[2]

والذي يترجح أنه وصف بمعنى اسم الفاعل يفيد الكثرة و المبالغة ويدل على ذلك قوله : الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس فجعل الوسواس قسمين قسما من الجنة وقسم من الناس وهذا لا يحمل على المصدر أو ما كان بمعنى المصدر الا على ضرب من التحويل والتقدير ، فحمله على الوصف سالم من التقدير ومن التجوز وله نظائر في اللغة . [3]

ب – الخناس:

وهو وصف مبالغة في الخانس من الخنوس وهو التأخر بعد التقدم، ومن ملابسات هذا المعنى ومكملاته في المحسوس أنه يذهب ويجيء ويظهر ويختفي، إغراقًا في الكيد وتقصيًا في التطور حتى يبلغ مراده. فالله تعالى يرشدنا بوصفه بهذه الصفة إلى أن له في عمله كرًا وفرًا، وهجومًا وانتهازًا، واستطرادًا على التصوير الذي صوره إبليس في ما حكى الله عنه قوله تعالى:﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ ﴾[الأعراف: 17] [4].

1 - المرجع نفسه ج 3 ص 370.

2 شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج 3 ص 208 - 209.

3 - الدكتور فاضل السامرائي ،على طريق التفسير البياني ج1 ، ص 51.

4-محمّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي ،آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي ج 1، ص357.

واختيار وصف الخناس مع الوسواس مناسب له في المبالغة فإن الوسواس من الرباعي كفعَّال في الثلاثي كلاهما يدل على الاستمرار في الوصف و المبالغة فيه ، ذلك أن وزن فعَّال في المبالغة منقول عن الحرفة والصنعة فالكذَّاب كأن حرفته الكذب كالنجَّار والحَدَّاد .[1]

كما أن وصفه بهذه الصفة يشعر بأنه ضعيف الكيد، لأن الخنوس ليس من صفات الشجاع المقدام، وإنما هو كالذباب تذبه بذكر الله من ناحية فيأتيك من ناحية ثم دواليك حتى تملّ أو يملّ. وأما التهويل في وصفه بما يأتي بعد فهو مبالغة في التحذير منه لأن وصفه بالضعف مظنة لاحتقاره والتساهل في أمره[2].

قال الزمخشري في الكشاف : والْخَنَّاسِ الذي عادته أن يخنس، منسوب إلى الخنوس وهو التأخر كالعواج والبتات [3] .

6 موضع الوسوسة:

قال تعالى :﴿ ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: 5] قال يوسوس بالمضارع إشعارًا بعد إشعار بتجدد الوسوسة منه وعدم انقطاعها، وقال في صدور الناس. والصدر ملتقى حنايا الأضلع ومستوح القوى التي كان الإنسان إنسانًا بها، ومجمع المضغ التي تحمل تلك القوى، والقلب واحد منها، فالقلب غير الصدر وإنما هو فيه، ولذلك قال تعالى:﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾[الحج: 46]. ومواقع استعمال القرآن لكلمة الصدر مفردًا وجمعًا والحكم عليها بالشرح والحرج والضيق والشفاء والإخفاء والإكنان- ترشدنا إلى أنه ليس المراد منه الصورة المادية ولا أجزاءها المادية وإنما المراد القوى النفسية المستودعة فيه، وأن الوسواس الخناس يوجّه كيده ووسوسته دائمًا إلى هذه القلعة التي هي الصدر لأنها مجمع القوى.[4]

1 – الدكتور فاضل السامرائي (ولد 1933م) على طريق التفسير البياني ج1 ، ص 52.

2- محمّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي ، آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي ج 1 ،ص357.

3 – أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ج4 ص824.

4-محمّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي (المتوفى: 1385هـ) آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي ج 1 ص357 -358.

جاء في روح المعاني في قوله الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ قيل أريد قلوبهم مجازا. وقال بعضهم: إن الشيطان يدخل الصدر الذي هو بمنزلة الدهليز فيلقي منه ما يريد إلقاءه إلى القلب ويوصله إليه.[1] فالشيطان يدخل إلى ساحة القلب وبيته، فيلقي ما يريد إلقاءه إلى القلب، فهو موسوس في الصدر. ووسوسته واصلة إلى القلب. ولهذا قال تعالى: فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطانُ ولم يقل «فيه» لأن المعنى أنه ألقى إليه ذلك، وأوصله إليه. فدخل في قلبه.[2]

وأما اختيار حرف الجر "في " ههنا على "الى" أو "اللام" فقال : "يوسوس في صدور الناس " ولم يقل "الى" فذلك أنه ذكر موضع الوسوسة وهو المكان الذي تلقى فيه الوسوسة . وأما " الى " و" اللام "فتكونان للشخص فيقال " وسوس الى فلان ووسوس له " قال تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [طه: 120] وقال تعالى :﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا ﴾[الأعراف: 20] .[3]

7 – من تقع عليهم الوسوسة :

وورد في الآثار أن لكل إنسان قرينًا من الجن، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾[الزخرف: 36] وقال تعالى:﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ ﴾ [فصلت: 25]وهو من باب توزيع الجمع على الجمع أي لكل واحد قرين، فهذا الإنسان الضعيف يلازمه قرين من الجن لم لا يخلو من قرين أو قرناء من الإنس، يزينون له ما بين يديه وما خلفه، ويصدّونه عن ذكر الله، فماذا يصنع؟ ما عليه إلّا أن يلتجئ إلى الله ويستعيذ به ويتذكر، فإنه لا يؤخذ وهو ذاكر مستيقظ، وإنما يؤخذ إذا كان غافلًا، قال تعالى:﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ [

1 – شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج 15 ص 526 .

2 – شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)ج1 ص 678.

3 – الدكتور فاضل السامرائي ،على طريق التفسير البياني ج1 ص 54.

فصلت: 36]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [الأعراف: 201] [1].

كما ورد في القرآن استعمال ألفاظ " الجن و الجنة والجان " وورد في مقابل ذلك " الانس والناس والانسان "

فالجن استعمل في مقابل الانس وهما الأصلان لهذين الجنسين من المخلوقات وورد استعمال "الجِنة "في مقابل" الناس " و الناس هم مجموعة قليلة من الناس أو كثيرة من الانس أو أفراد منهم وقد يطلق الناس على الجميع .

والجنة هم مجموعة من الجن أو أفراد منهم ، و"الجان" ما يقابل الانسان وهو يطلق على الواحد الفرد منهم أو الجنس وقد يقال للجميع أيضا ، فنقول للواحد من البشر " هذا انسان " ويقال للجنس أيضا نحو قولك : "خلق الانسان من طين " ويقال للواحد من الجن " جان" ويقال للجنس أيضا كقولك " خلق الجان من نار " وربما أطلق على الجمع أيضا فيقال " هؤلاء جان " .

وعلى هذا يكون الفرق بين الانسان والجان أن الانسان يطلق على الواحد وعلى الجنس ولا يطلق على الجمع.

أما "الجان " فيطلق على الواحد والجنس والجمع أيضا ، ويدل على ذلك استعمال القرآن لهذه الألفاظ وكثيرا ما يستعمل الانس لما يقابل الجن قال تعالى : " وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون " ويستعمل "الجنة" لما يقابل "الناس" قال تعالى : " لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ". [2]

[1]– محمّد بن بشير بن عمرالإبراهيمي ، آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي ج 1 ص358.

2 – الدكتور فاضل السامرائي ، على طريق التفسير البياني ج1 ص55 .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبرحمته تتنزل البركات ،حمدا يليق بجلال وجهه الكريم، وسلطانه العظيم والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين أما بعد:

فبعد دراستنا لموضوع بلاغة القرآن الكريم عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي من خلال آثاره توصلنا إلى عدّة نتائج منها:

1- ان وجوه الإعجاز عند الإبراهيمي في مجملها تدور حول البلاغة ،أي أنه معجز ببلاغته (الألفاظ - الاساليب)، وما تميز به عن غيره هو ربطها بواقع الإنسان المعاش.

2- ربط بلاغة القرآن بالواقع المعاش من خلال حثّه على تدبّر آيات القرآن وفهمه، والغاية من ذلك كله إصلاح الفرد والمجتمع.

3- أن منهج الإبراهيمي في التفسير البياني مان امتدادا للمدرسة الاصلاحية.

4- الباحث عن بلاغة القرآن في آثار الإبراهيمي لا بدّ له من تكرار القراءة مرات عديدة، حتى يستوعب ما فيها ،مع ضرورة الإلمام بعلوم كثيرة.

5- من خلال قراءتنا للآثار والتأمل في الآيات التي تعرّض لها الإبراهيمي من الناحية البيانية والبلاغية، أدركنا موسوعية الرجل وتبحّره في علوم العربية.

وفي الأخير فما كان من توفيق فمن الله وحده، وما كان من نقص فمن أنفسنا ومن الشيطان وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1- علي محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، ط1،(1438هـ – 2017 م)،ج3.

2- محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، ص 95، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران،(د، ط)، (د، ت).وينظر، البشير الإبراهيمي في عيون معاصريه، محمد الهادي الحسني ط،2007.

3- – محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، دارالغرب الإسلامي ،الطبعة الأولى 1997م،ج1.

4- معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض للنشر، بيروت، الطبعة الثانية،1400هـ -1980.

5- محمد عبده ،رسالة التوحيد، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، بيروت، الطبعة الأولى 1994م.

6- نعيم حمصي، فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية 1400هـ-1980م.

7- عبدالحميد بن باديس ،مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير(تفسير ابن باديس)،اعتنى به وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبدالرحمن محمود، الطبعة الأولى، الجزائر، دار الرشيد،ج2.

8- فاضل صالح السامرائي ،التعبير القرآني، دار عمان، الطبعة الخامسة،2007م.

9- الخطابي أبو سليمان حمد بن محمد، بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)،تحقيق أحمد محمد خلف الله، دار المعارف ،القاهرة،1967م.

10- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي ، بيروت، الطبعة الثالثة – 1407 هـ،ج2

11- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، التونسية للنشر – تونس 1984هـ ،ج 12.

12- شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ،ج6.

13- – أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، الطبعة: 1420 هـ،ج

14- أبو بكرعبد القاهر بن عبدالرحمان بن محمد الفارسي الأصل الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة 1413هـ-1992م

15- الدكتور وهبة الزحيلي، التفسير الوسيط ،دار الفكر، دمشق ط 1 ،1422هـ-2001م،ج 27،ص 48

16-أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، الطبعة: 1420 هـ،ج1.

16- أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ)،المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – 1412 هـ،ج1.

17- محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: 1394هـ) ، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي،ج9،ص4641 ،ينظر الطاهر بن عاشور ،التحرير والتنوير ج16.

18- أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ) ،تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ،دار إحياء التراث العربي – بيروت ،ج4

19- - محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ)، تفسير الشعراوي – الخواطر، مطابع أخبار اليوم1997 م ،ج4.

20- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ) ،تأويل مشكل القرآن ،تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ج1.

21- علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن نور الدين جامع العلوم الأَصْفهاني الباقولي (المتوفى: نحو 543هـ) إعراب القرآن المنسوب للزجاج، تحقيق: إبراهيم الإبياري ، دارالكتاب المصري – القاهرة ودارالكتب اللبنانية – بيروت – القاهرة / بيروت، ط4، 1420هـ ، ج3.

22- أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ) البرهان في علوم القرآن دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه (ثم صوَّرته دار المعرفة، بيروت، لبنان – وبنفس ترقيم الصفحات) ط: 1، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم 1376 هـ- 1957 م) ج1.

23- الدكتور فاضل السامرائي (ولد 1933م) على طريق التفسير جامعة الشارقة 2002 ،ج 2.

24- ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ) أنوار التنزيل وأسرار التأويل محمد عبد الرحمن المرعشلي دار إحياء التراث العربي – بيروت ط : 1- 1418 هـ، ج 5

25- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) تفسير القرآن الكريم (ابن القيم) تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان دار ومكتبة الهلال – بيروت ط : 1 - 1410 هـ ج 1

26- أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420 هـ

27- – الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن دار طوق النجاة، بيروت – لبنان،ط1، ج 32 .

28- محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة ط : 1 ج 15.

29- شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، تفسير سورة الناس، مؤسسة الرسالة، الرياض، ط2، 1414هـ.

المواقع الإلكترونية:

1- محب الدين إيمان، محمد البشير الإبراهيمي حامل لواء الدفاع عن اللغة العربية، مقال صدر في أقلام الهند، مجلة إلكترونية محكمة، السنة الثانية، العدد الثالث، سبتمبر 2017،دراسات ومقالات ، https://www.aqlamalhind.com/?p=825.

2- علي محمد الصَّلاَّبي، البشير الإبراهيمي جاحظ عصره وبديع زمانه، مجلة الشروق، 2018/12/09، الرابط https://www.echoroukonline.com .

3- أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ، البرهان في علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،الطبعة: الأولى، 1376 هـ - 1957 م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه (ثم صوَّرته دار المعرفة، بيروت، لبنان - وبنفس ترقيم الصفحات).

4- عبدالرحمان بن سعيد الحازمي، تقديم البشارة على النذارة في القرآن الكريم ومضامينها التربوية، 2019/09/29م، الألوكة الشرعية،2021/07/11، الساعة 11:15، https://www.alukah.net/sharia/0/136446.

5- عبد الله بن فهد الغفيلي ، نظرة بلاغية في سورة الفلق . موضوعٍ في شكل مقال، حملته بصيغة (pdf) ،يوم 09-09-2021،على الساعة، 18:20 ،من موقع: " الموسوعة الشاملة " على الشبكة العنكبوتية:

http://www.orbinaanet.com/vb/archive/index.php/t-15961.html

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
سورة البقرة		
﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩ ﴾	129	40– 41
﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١ ﴾	151	40
﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾	282	41
سورة آل عمران		
﴿ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ١٣٨ ﴾	138	21
﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤ ﴾	164	40
﴿ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ ﴾	170	37
سورة الأنعام		
﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾	19	38
﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا ﴾	92	38
﴿ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ ﴾	95	51
﴿ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ ﴾	96	51

﴿ طٰهٰ الأنبيَاء الحَج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل ﴾	155	21
الأعراف		
﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ﴾	2	28
﴿ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ ﴾	17	66
﴿ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا ﴾	20	69

﴿ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨ ﴾	188	39
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١ ﴾	201	69
﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾	204	28
الأنفال		
﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ﴾	72	29
يونس		
﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ٢ ﴾	2	37
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ ﴾	57	23
هود		
﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا ﴾	52	31
الإسراء		

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾	88	35
مريم		
﴿ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾	36	43
﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ﴾	37	43
﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ ﴾	97	38
طه		
﴿ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾	50	59
﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾	120	69
الأنبياء		
﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾	26	36
الحج		
﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾	46	68
المؤمنون		
﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾	97–98	57
يس		
﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ ﴾	6	38
﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا ﴾	70	38
فصّلت		
﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ ﴾	25	69
﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾	36	69

الشورى		
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِ	7	38
الزخرف		
﴿ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴾	36	69
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِ ﴾	7	
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾	24	
الفتح		
﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ﴾	65	30
النجم		
﴿ هَٰذَا نَذِيرٞ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ ﴾	56	37
القمر		
﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ﴿١٩﴾ ﴾	19	37
﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٢٢﴾ ﴾	22	37
الرحمن		
﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ﴿١٥﴾ ﴾	14– 15	35
﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴿٣٣﴾ ﴾	33	35
الجمعة		
﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾	2	40– 41
القيامة		

﴿ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ١٩ ﴾	18-19	41
الفلق		
﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١ ﴾	1	50
﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾	2	52
الناس		
﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾	1	58
﴿ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾	5	68

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
شكر وعرفان	.
مقدمة	أ –ج
مبحث تمهيدي	
المطلب الأول: التعريف بالبشير الإبراهيمي	**7**
تمهيد	**7**
نشأته وحياته	**7**
آثاره	**10– 8**
وفاته	**11**
المطلب الثاني: التعريف بآثار البشير الإبراهيمي	**14–13**
المبحث الاول **عناية الإبراهيمي بفهم القرآن وبلاغته**	
المطلب الأول: اهتمامه باللغة العربية	**19–16**
المطلب الثاني: دعوة الإبراهيمي إلى فهم وتدبر القرآن الكريم	**22–20**
المطلب الثالث: رأي الإبراهيمي في بلاغة القرآن وأوجه الإعجاز عند غيره.	**28–23**
المبحث الثاني **من وجوه بلاغة الألفاظ والأساليب عند الإبراهيمي**	
المطلب الاول: إختيار الألفاظ ودقة توظيفها.	**29**
تمهيد	**29**
لفظ الإخراج	**30–29**
لفظ الإستعمار	**32–31**
لفظ ليذكّر	**33**
المطلب الثاني: بلاغة الأساليب	**34**

أسلوب التقديم والتأخير	**34**
الإنس والجن	**36-34**
الإنذار والتبشير	**39-37**
التزكية والتعليم	**42-40**
أسلوب الإفراد والجمع	**43**
الحزب والأحزاب	**44-43**
المال والأموال	**47-45**
المبحث الثالث **التفسير البياني لسورتي الفلق والناس**	
المطلب الاول: التفسير البياني لسورة الفلق.	**57-49**
المطلب الثاني: التفسير البياني لسورة الناس.	**70-58**
الخاتمة	**72**
فهرس الآيات القرآنية	**74**
فهرس الموضوعات	**78**

الملخص:

فإن القرآن الكريم كتاب الله لا تنقضي عجائبه، أذهل فصحاء العرب ببيانه وبلاغته على الرغم مما كانوا عليه من دراية باللغة العربية وكشف أسرارها، إذ ان هذا لا يتأتى لأي أحد إلا من اصطفاه الله على غيره ممن خلق، ولأنه جلّ وعلا يبعث في هذه الأمة من يجدد لها دينها ،كانت نعمت الله على الأمة العربية عامة والجزائرية خاصة ان اصطفى لها من خيرة أبنائها من يتولى الذود عن مقومات هذه الأمة، إنه الإمام محمد البشير الإبراهيمي صاحب البيان الراقي والبلاغة الواضحة ،كان آية من آيات الله في الخلق، ومن وجد في نفسه ريبة فالينظر بعين الإنصاف ماذا انفقت فرنسا كي تقتل العربية فينا، أغرت ضعفاء النفوس وآذت أقوياء الإيمان ،ووضعت المراسيم الظالمة التي تمنع التعليم العربي لكن سعيها خاب حين أقامت جمعية العلماء قلاعها، ونشرت في الناس كتابها وزيّن بيان الإبراهيمي بصائرها وآثارها، حتى غدت مضرب المثل في الكمال الراقي والسمو الرائع.

الكلمات المفتاحية: البلاغة – البشير الابراهيمي- التفسير البياني- سورة الفلق- الناس.

Sommaire:

Le Noble Coran est le Livre de Dieu dont les merveilles ne finissent pas. Il étonna les Arabes par son éloquence et son éloquence, malgré leur connaissance de la langue arabe et la divulgation de ses secrets. Il renouvellerait sa religion pour elle, la bénédiction de Dieu était sur la nation arabe en général et l'Algérienne en particulier, s'il choisissait pour elle parmi les meilleurs de ses fils qui se chargerait de défendre les fondements de cette nation.Doute, alors regardez avec équité ce que la France a dépensé pour tuer des arabes en nous , séduisit les âmes faibles et nuisit aux forts de la foi, et institua des décrets injustes qui empêchent l'éducation arabe, mais sa quête fut déçue lorsque l'Association des savants installa ses châteaux, et publia parmi le peuple son livre et décora la déclaration d'Ibrahimi avec ses idées et ses effets, jusqu'à ce qu'il devienne un proverbe à la perfection sophistiquée et à la transcendance splendide.

Mots-clés : Al-Balaghah - Al-Bashir Al-Ibrahimi - Interprétation d'Al-Bayaan - Sourate Al-Falaq - An-Nas.